

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université MUSTAPHA STAMBOULI de Mascara

جامعة مصطفى اسطبولي

Faculté des sciences Humaines et sociales

كلية العلوم الإنسانية



قسم : العلوم الإنسانية

الدكتور: بوجلال قدور

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر "أ".

السند البيداغوجي الخاص بمقياس:

نصوص تاريخية في مصادر التاريخ العثماني.

موجه لطلبة السنة: السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية (1453-1924)
فرع: علوم انسانية - تاريخ
ميدان: علوم انسانية واجتماعية
عدد صفحات السند (مع احتساب الواجهة وما تلاها): 145 صفحة

لجنة تحكيم السند:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	جامعة الانتماء
01	دلباز محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سعيدة
02	هرباش زاجية	أستاذ التعليم العالي	جامعة مصطفى اسطبولي معسكر
03	درعي فاطمة	أستاذ التعليم العالي	جامعة مصطفى اسطبولي معسكر

السنة الجامعية: 2024-2025م



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

رقم : 13 / ك / ع / 1 / ج م / 2024

معسكر في: 2024/10/24



شهادة

أنا الممضي أسفله :

السيد : رزقي عبد الرحمان ، رئيس قسم العلوم الإنسانية.

نشهد بأن الأستاذ(ة): بوجلال قدور

الرتبة: أستاذ محاضر "أ" بقسم العلوم الإنسانية.

قد أشرف على تدريس مقياس: "نصوص تاريخية في مصادر التاريخ العثماني" كمحاضرة لطلبة السنة الأولى

ماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية خلال السداسي الثاني من الموسم الجامعي 2023 - 2024 .

حررت هذه الشهادة بطلب من المعني بالأمر لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

مستند
رئيس القسم
قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية
بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
الرحمان

2- الأساسيات الشترية:

نوع التعليم	الأرصدة	العمل	العمد السامي الأسوي			العمد السامي الأساسي	ملاحظة	العمد السامي الأساسي	وحدة تعليم
			أصل آخر	أصل تعليمية	أصل موجهة				
مستفزة	18	09	180		06	06	06	120	وحدة تعليم أساسية
•	05	03	45		01.30	01.30	01.30	45	وحدة 1 (2)
•	05	02	45		01.30	01.30	01.30	45	تعليم تعليمية في وحدة تعليمية
									ثورة تعليمية و شجرة تعليمية
•	04	02	45		01.30	01.30	01.30	45	معمدات تعليمية تعليمية
•	04	02	45		01.30	01.30	01.30	45	تعليم وتوسيع تعليمية في شجرة تعليمية
	09	04	90		03	03	03	90	وحدة تعليم تعليمية
•	05	02	45		01.30	01.30	01.30	45	وحدة 2 (2)
•	04	02	45		01.30	01.30	01.30	45	تعليم تعليمية
	02	02	45		01.30	01.30	01.30	45	تعليم تعليمية في معسكر تعليمية تعليمية
									وحدة تعليم تعليمية
•	01	01	22.30		01.30	01.30	01.30	22.30	وحدة 1 (2)
									تعليم 1: تعليمية
									وسيط تعليمية
•	01	01	22.30				01.30	22.30	تعليم 2: تعليمية (تعليمية وحدة واحدة)
									- تعليمية تعليمية
									- تعليمية تعليمية
	01	01	22.30		01.30	01.30	01.30	22.30	وحدة تعليم تعليمية
									وحدة 1 (2)
•	01	01	22.30		01.30	01.30	01.30	22.30	تعليم 1: تعليمية
	30	16	450		10.30	10.30	12	337.30	مجموع تعليمية 2

العلماء السامي عن طريق التعليم

العلماء السامي
تعليمية: تاريخ التعليم (1924-1453)

المستداسي: الثاني
اسم الوحدة: وحدات التعليم المنهجية
اسم المادة: نصوص تاريخية في مصادر التاريخ العثماني
الرصيد: 04
المعامل: 02

أهداف التعليم: (تذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

□ بعد تحليل النصوص التاريخية في مصادر التاريخ العثماني ذا أهمية كبيرة في الإلمام بأهم أحداثه وشخصياته.

المعارف المسبقة المطلوبة: (وصف تفصيلي للمعرف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر).

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطلاب)

- الأرشيف العثماني وأهميته في دراسة التاريخ العثماني
- نصوص وثائقية نموذجية من الأرشيف العثماني بالجزائر
- نصوص وثائقية نموذجية من أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول
- نصوص وثائقية نموذجية من أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية
- المخطوطات التاريخية العثمانية بالمكتبة الوطنية
- نصوص نموذجية من مخطوطات التاريخ العثماني بالمكتبة الوطنية الجزائرية
- المصادر العربية للتاريخ العثماني
- نصوص نموذجية من المصادر العربية للتاريخ العثماني
- المصادر التركية المترجمة وأهميتها في دراسة التاريخ العثماني
- نصوص نموذجية من المصادر التركية المعربة
- المصادر الأجنبية للتاريخ العثماني: قراءة نقدية
- نصوص نموذجية للمصادر الأجنبية

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة، امتحان.... إلخ (يترك الترتيب للمصلحة للتدبيرية للمربع التكوين)

المراجع: (كتب، ومطبوعات ، مواقع انترنت، إلخ)

1. المطار حمس، رسالة في تحقيق الخلافة الإسلامية ومنافذ الخلافة العثمانية. سنة 1400هـ، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم 380
2. عزاد أحمد متولي، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له
3. قانون نامه آل عثمان، (قانون نامه محمد الفاتح)،
4. الفرمان، تاريخ سلاطين آل عثمان
5. المالكي إبراهيم بن عامر بن علي العبيدي، قلند العقبان في مفاخر دولة آل عثمان
6. وثائق مختارة من سجلات الدفاتر المهمة من المركز الوطني للأرشيف
7. وثائق مختارة من أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية
8. نصوص مختارة من مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية

فهرس المحتويات	
الصفحة	
18	المحاضرة رقم: 01: الأرشيف العثماني وأهميته في دراسة التاريخ العثماني.
18	المبحث الأول: ماهية الأرشيف وتطوره.
18	المطلب الأول: مفهوم الأرشيف: (خصائصه وأنواعه).
18	1 - مفهوم الأرشيف.
18	أ- التعريف اللغوي للأرشيف.
19	ب- التعريف الاصطلاحي للأرشيف.
20	المطلب الثاني: أنواع الأرشيف وخصائصه.
20	أ- أنواع الأرشيف.
20	أ - 1 - حسب شكل الوعاء.
20	-المخطوطات.
21	-الخرائط.
21	-الوثائق المطبوعة.
21	-الأرشيف الإلكتروني.
21	أ - 2 - حسب ملكيته.
22	أ - 3 - من حيث المحتوى.
23	ب - خصائص الأرشيف.

23	ج- مراحل تطور الأرشيف.
25	المبحث الثاني: لمحة عن الأرشيف العثماني.
25	المطلب الأول: الأرشيف العثماني ونشأته.
25	1- تعريفه.
26	2- نشأته.
33	المطلب الثاني: أهم دور الأرشيف العثماني.
33	1- أرشيف رئاسة الوزراء.
34	2- أرشيف قصر طوب كابي.
34	3- أرشيف البحرية.
34	4- أرشيف الجمهورية.
34	5- دفاتر ديوان همايون: دفاتر مهمة.
35	6- الديوان الدفتری وأقلامه.
35	7- أرشيف المديرية العامة للأوقاف.
35	8- أرشيف صكوك تملك الأراضي.
35	9- أوراق ديوان همايون.
35	المطلب الثالث: تصنيفات وثائق الأرشيف العثماني.
36	1- دفاتر المهمة.
36	2- الخط الهمايوني.

36	3- إرادات شورى الدولة.
36	4- محاضر مجلس الوزراء.
37	5- وثائق قصر يلدز.
37	6- دفاتر الولايات.
37	7- غرفة أوراق البابا العالي.
37	8- داخلية نظارتي قلم مخصوص مديرتي.
37	9- داخلية نظارتي مخابرات عمومية دائرة سي، ساسي أوراق.
38	10- محاسبة الحرمين.
38	المطلب الرابع: الأرشيف العثماني ودوره في تدوين التاريخ.
38	1- الوثائق العثمانية وأهميتها في الكتابة التاريخية.
41	2- الأرشيف العثماني والدول العربية.
43	3- صعوبات التعامل مع الأرشيف العثماني.
43	3-1- مشكلة اللغة.
43	3-2- الصعوبات الإدارية.
44	3-3- الصعوبات المادية.
44	خاتمة.
45	المحاضرة رقم: 02: نصوص وثائقية نموذجية من الأرشيف العثماني بالجزائر.
45	المبحث الأول: ماهية الأرشيف العثماني الجزائري.

45	المبحث الثاني: المواد والمواضيع والنصوص التي تحتويها الوثائق.
46	المبحث الثالث: الوثائق العثمانية الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي.
46	1- عشية الاحتلال.
47	2- الاهتمام الفرنسي بالوثائق.
48	المبحث الرابع: المحاولات التنظيمية للوثائق العثمانية في الجزائر.
48	1- المحاولات الفرنسية.
49	2- المحاولات الجزائرية.
51	المبحث الخامس: مراكز تواجد الأرشيف العثماني الجزائري.
51	المطلب الأول: في الداخل.
51	1- مركز الأرشيف الوطني الجزائري.
52	أ- عقود المحاكم الشرعية.
52	ب- سجلات بيت المال ودفاتر البايلك.
52	ج- خط همايون.
53	د- الضغوطات التي يواجهها الباحث خلال بحثه في الأرشيف الوطني الجزائري.
53	2- المكتبة الوطنية الجزائرية.
56	المطلب الثاني: في الخارج.
56	أ- تركيا.
57	ب- فرنسا.

57	ج-إسبانيا.
58	خاتمة.
59	المحاضرة رقم: 03: نصوص وثائقية نموذجية من أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول.
59	المبحث الأول: أرشيف رئاسة الوزراء: أهم دور الأرشيف العثماني.
59	المطلب الأول: دفاتر ديوان همايون: دفاتر مهمة.
60	المطلب الثاني: الديوان الدفتری وأقلامه.
60	المطلب الثالث: أوراق ديوان همايون.
60	المبحث الثاني: تصنيفات وثائق الأرشيف العثماني.
61	1- دفاتر المهمة.
61	2- الخط الهمايوني.
61	3- إرادات شورى الدولة.
61	4- محاضر مجلس الوزراء.
61	5- وثائق قصر يلدز.
62	6- دفاتر الولايات.
62	7- غرفة أوراق البابا العالي.
62	8- داخلية نظارتي قلم مخصوص مديرتي.
62	9- داخلية نظارتي مخابرات عمومية دائرة سي، ساسي أوراق.
62	10- محاسبة الحرمين.

63	المحاضرة رقم: 04: نصوص وثائقية نموذجية من أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية.
63	المبحث الأول: مفهوم المكتبة الوطنية.
63	المبحث الثاني: أهدافها ومهامها.
65	المبحث الثالث: مصادر المخطوطات المكتبة الوطنية.
65	1- الإيداع القانوني.
65	2- الشراء.
65	3- التبادل والإهداء.
65	المبحث الرابع: مواقع الوثائق والمخطوطات في المكتبة الوطنية.
67	1- المجموعة رقم 1642 بالمكتبة الوطنية.
68	2- المجموعة رقم 1903 بالمكتبة الوطنية الجزائرية.
68	3- المجموعة 2316 (في القضاء).
68	4- المجموعة 3204.
68	5- المجموعة 3205.
69	المحاضرة رقم: 05: المخطوطات التاريخية العثمانية بالمكتبة الوطنية الجزائرية.
69	المبحث الأول: مخطوطات الجزائر العثمانية.
69	المبحث الثاني: التدوين التاريخي في الجزائر العثمانية.
70	المحاضرة رقم: 06: نصوص نموذجية من مخطوطات التاريخ العثماني بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

70	المبحث الأول: نماذج عن مخطوطات الجزائر العثمانية في المكتبة الوطنية.
70	المطلب الأول: دليل الحيران وأنيس السهران.
70	المطلب الثاني: تاريخ بلد قسنطينة.
71	المطلب الثالث: مجاعات قسنطينة.
71	المطلب الرابع: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار.
72	المطلب الخامس: قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705)
73	الخاتمة.
73	المحاضرة رقم: 07: المصادر العربية للتاريخ العثماني.
73	المبحث الأول: مفهوم المصدر.
73	أ - لغة.
73	ب - اصطلاحا.
74	المبحث الثاني: أنواع المصادر.
74	1 - المصادر المدونة.
74	أ - المخطوطات.
74	ب - مصادر الرحالة.
74	ج - مصادر الأقدمين المنشورة.
74	د - الوثائق الرسمية.
74	2 - المصادر المادية.

74	المحاضرة رقم: 08: نصوص نموذجية من المصادر العربية للتاريخ العثماني.
75	المبحث الأول: العالم عبد القادر المشرفي ومؤلفه "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسمانيين بوهان من الأعراب كبنى عامر": دراسة تحليلية نقدية.
75	1- تعريف العيون والجواسيس لغة واصطلاحاً.
76	أ- العيون والجواسيس لغة.
77	ب- العيون والجواسيس اصطلاحاً.
78	2- عيون وجواسيس الإسمان بحاضرة وهران على ضوء كتاب بهجة الناظر لمؤلفه الشيخ عبد القادر المشرفي.
79	3- التعريف بالشيخ عبد القادر المشرفي.
82	المبحث الثاني: صورة العيون والجواسيس عند عبد القادر المشرفي.
83	1- قبيلة شافع.
84	2- قبيلة حميان.
86	3- قبيلة غمرة.
86	4- قبيلة قيزة.
87	5- قبيلة أولاد عبد الله.
88	6- قبيلة أولاد علي.
89	7- قبيلة الونازرة.
90	8- قبيلة كرشتل.
95	الخاتمة.

95	المحاضرة رقم: 09: المصادر التركية المترجمة وأهميتها في دراسة التاريخ العثماني.
95	المبحث الأول: المصادر التركية المترجمة إلى العربية.
95	المطلب الأول: مفهوم الترجمة.
95	أ- لغة.
95	ب- اصطلاحا.
96	المحاضرة رقم: 10: نصوص نموذجية من المصادر التركية المعربة.
96	المبحث الأول: كتاب البحرية لبيري ريس.
97	المطلب الأول: الجزائر في المصادر العثمانية.
98	المطلب الثاني: التعريف بالجغرافي والبحار التركي بيري ريس peri reis.
99	المطلب الثالث: كتاب "البحرية" الموضوع والأهمية.
99	1- اسم الكتاب وموضوعه.
99	2- سبب تأليف الكتاب.
100	3- أهمية كتاب بيري ريس.
100	4- أهم محتويات الكتاب ومنهج المؤلف في ترتيبه.
102	المبحث الثاني: مذكرات خير الدين بربروس.
103	المطلب الأول: اسم الكتاب وسبب تأليفه.
104	المطلب الثاني: التعريف بصاحب المذكرات.

104	1- بارياروس خير الدين باشا (1466-1546).
104	2- المواصفات الشخصية لخير الدين.
104	المطلب الثالث: محتوى الكتاب وموضوعه.
106	المطلب الرابع: القيمة التاريخية لمذكرات خير الدين بريروس ودورها في كتابة تاريخ الجزائر العثماني.
106	1- المجال العسكري.
107	2- المجال الاقتصادي.
108	3- المجال الاجتماعي.
109	4- المجال الديني.
109	5- المجال الإداري والتنظيمي.
109	6- المجال الثقافي.
109	المبحث الثالث: تحفة الكبار في أسفار البحار لحاجي خليفة أو كاتب جلبي.
110	المطلب الأول: التعريف بالمؤلف ومكانته العلمية.
111	المطلب الثاني: أهم مؤلفاته التاريخية.
112	المطلب الثالث: التعريف بالكتاب: تحفة الكبار في أسفار البحار.
115	المطلب الرابع: أهمية الكتاب.
116	المبحث الرابع: مصدر تواريخ آل عثمان لللفي باشا، المترجم محمد عبد العاطي محمد.
116	المطلب الأول: التعريف بالمؤلف.

117	المطلب الثاني: محتويات الكتاب.
118	المطلب الثالث: أهمية كتاب تواريخ آل عثمان.
119	الخاتمة.
120	المحاضرة رقم: 11: المصادر الأجنبية للتاريخ العثماني: قراءة نقدية.
120	المبحث الأول: المصادر التاريخية.
120	1- المصادر المادية.
121	2- المصادر الغير مادية.
122	المبحث الثاني: أهمية المصادر التاريخية بالنسبة للمؤرخ.
122	1- الوثائق التاريخية.
123	2- المذكرات الشخصية.
123	3- المخطوطات.
124	4- كتابات وأشعار المعاصرين وشهود العيان.
124	5- كتابات المؤرخين المحدثين.
124	6- اللقاءات والمقابلات الشفوية.
125	7- كتب المراجع.
125	8- دوائر المعارف والمعاجم.
125	9- الدوريات.
126	المبحث الثالث: خليل إينالجيك شيخ المؤرخين الأتراك: 1919-2016م.

127	المحاضرة رقم: 12: نصوص نموذجية للمصادر الأجنبية.
127	المبحث الأول: كتاب الفتح الإسلامي للقسطنطينية: يوميات الحصار العثماني 1453م لنيقولو باربارو.
127	المطلب الأول: الذكرة الشخصية لنيقولو باربارو.
129	المطلب الثاني: أهمية هذه المذكرة كمصدر تاريخي.
130	المطلب الثالث: النقد الخاص بالكتاب.
130	المبحث الثاني: أدريان بيريروجر.
131	الخاتمة.
133	قائمة المصادر والمراجع.

المحاضرة رقم: 01: الأرشفة العثمانية وأهميته في دراسة التاريخ العثماني:

الأرشفة العثمانية هو مجموعة من المستندات والوثائق التاريخية والمصادر التي تعود إلى الدولة العثمانية، وهو ذلك الجزء من المحفوظات الذي له قيمة إدارية أو تاريخية أو اقتصادية أو قانونية أو اجتماعية وأودع في المؤسسات الأرشفية حيث نظم بالشكل العلمي الذي يجعله صالحا للاستخدام من قبل الباحثين والمستفيدين، يتناول هذا الأرشفة تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها عام 699هـ - 1299م إلى سقوطها عام 1342هـ - 1924م، ويعد ثالث أكبر أرشفة في العالم من حيث كمية الوثائق التي يضمها¹، حيث يبلغ مجموع وثائقه حوالي 150 مليون وثيقة تغطي مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والصحية والثقافية والاقتصادية، وتشمل على وثائق تهم 39 بلدا في الشرق الأوسط و 11 بلدا في البلقان و 3 دول في القوقاز وبلدين في وسط آسيا، وتعد هذه الوثائق مصدرا تاريخيا مهما للباحثين في تاريخ الدولة العثمانية.

وقبل الحديث عن الأرشفة العثمانية لابد من أن نستعرض ما يلي:

المبحث الأول: ماهية الأرشفة وتطوره:

يعتبر الأرشفة من أهم مصادر المعلومات، لهذا فقد حاول العديد من الخبراء والعلماء في مجال الأرشفة إعطاء مجموعة من المفاهيم، ولقد عرفت كلمة أرشفة عدة تعاريف منها اللغوية، الاصطلاحية والقانونية.

المطلب الأول: مفهوم الأرشفة: (خصائصه وأنواعه):**1- مفهوم الأرشفة:****أ- التعريف اللغوي للأرشفة:**

¹ - أشرف سعدون طه، "التعريف بالأرشفة العثمانية وأهميته في دراسة التاريخ"، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، عدد خاص ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي الحادي عشر، نيسان 2019، ص: 426.

الأرشيف كلمة يونانية الأصل كغيرها من المصطلحات ، فمصطلح الأرشيف لا وجود له في اللغة العربية ، وبالتالي فهو كلمة مستعربة تجمع جل الدراسات على أن كلمة أرشيف مشتقة من الكلمة اللاتينية archivum ومعناها مصطلح الورقة¹.

كما يعرف القاموس الموسوعي لعلوم المعلومات والاتصال "الوثائق المحفوظة في مكان من أجل إيجاد معلومة أو مرجع أو عقد قديم تمثل أرشيفا"².

وقد شاع استعمال كلمة أرشيف من اليونانية إلى لغات أخرى عبر العالم، ففي الفرنسية archives وفي الإيطالية archiva وفي الهولندية archif³.

أما في اللغة العربية هناك من يقول أن كلمة أرشيف قد دخلت اللغة العربية كسائر الألفاظ الأجنبية التي تفتت في لغتنا العربية، بسبب تفشي المصطلحات العلمية والحضارية في عصرنا، وهذا ما أدى إلى فكرة أن الأرشيف ولد مع الإنسان، واعتبر أن كلمة أرشيف هو تعبير عن مكان حفظ الوثائق والمجلات عبر العصور⁴.

ب- التعريف الاصطلاحي للأرشيف: الأرشيف هو ذلك الجزء من المحفوظات الذي له قيمة إدارية أو تاريخية أو اقتصادية أو قانونية أو اجتماعية، وأودع في المؤسسات الأرشيفية، حيث نظم بالشكل العلمي الذي يجعله صالحا للاستخدام من قبل الباحثين والمستفيدين⁵. وهو كذلك مجموعة من الوثائق القديمة المحفوظة من أجل كتابة التاريخ، أو من أجل إثبات الحقوق العامة والخاصة⁶.

تعريف هيلاري جنكنسون: "الوثائق التي أنشئت أثناء تأدية عمل من الأعمال وكانت جزءا منه، لذلك حفظت للرجوع إليها، وهي لا تقتصر على الأعمال الحكومية بل قد تكون وثائق جمعيات أو أشخاص أو هيئات غير حكومية"¹.

¹- قيسي محمد، علم التوثيق والتقنية الحديثة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1991، ص: 03.

²- الخولي جمال، الوثائق الإدارية بين النظرية والتطبيق، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1993، ص: 04.

³- بودوشة أحمد، "التشريعات والتكنولوجيا ودورها في دعم وتطوير الأرشيف الوطني"، مجلة المكتبات والمعلومات، مج 02، 2003، ص: 97.

⁴-فاضل عبد الحق، تاريخهم من لغتهم، بغداد، مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام، 1977، ص: 06.

⁵-الصرايرة خالد عبده، الكافي في مفاهيم علوم المكتبات والمعلومات، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص: 19.

⁶-حاشي عمر، دليل علم الأرشيف تسيير الوثائق والمحفوظات، ط1، الجزائر، 1993، ص: 25.

تعريف الدكتور محمد إبراهيم السيد:

أن الأرشفة هو كل أشكال المواد الوثائقية القيمة لمختلف أوجه البحث والمراجعة التي انتهجتها أو استعملتها هيئة رسمية، أو شخص معنوي أو مادي لإنجاز أعمالهم بصفة رسمية، وحفظت هذه المواد منظمة للرجوع إلى المعلومات، التي يحتويها بعد إتمام الأعمال التي من أجلها أنشأت تحت وصاية هذه الهيئة أو شخص أو خلفائهم الشرعيون².

كما يعرفه يوجينيو أنه: "التجمع الذي يكون منظماً للوثائق الناتجة عن فعالية ونشاط الدوائر والمؤسسات والأشخاص، التي تقرر حفظها نظراً للأهمية التي تتضمنها سواءاً من الناحية السياسية أو القانونية لتلك الدوائر والأشخاص"³.

المطلب الثاني: أنواع الأرشفة وخصائصه:**أ- أنواع الأرشفة:****أ- 1- حسب شكل الوعاء:**

اختلفت الأساليب والوسائل التي اعتمدها الإنسان في حفظ المعلومة من زمن لآخر ، حيث عرفت تطور واختلاف ملحوظ. فتنوعت أوعية الحفظ بتنوع وتطور الحقب الزمنية من ألواح طينية ولفائف البردي إلى الورق، ثم بعد ذلك ظهور الطباعة وصولاً إلى عصر التكنولوجيا، الذي ساهم بشكل ملحوظ في ظهور أشكال أخرى من أوعية حفظ الأرشفة، أهم أشكال أوعية الحفظ.

-المخطوطات: تعتبر من المصادر ذات الدرجة الأولى، وهي أحد أنواع الكتب التي خطت بخط اليد لعدم وجود الطباعة آنذاك، وهي تعد من المصادر الموثوقة، وتخص دراسة موضوعات مختلفة، ويعتمد على المعلومات الواردة بشكل جزئي أو كلي من طرف الباحثين⁴.

¹-قيسي محمد، مرجع سابق، ص: 03.

²-السيد محمد إبراهيم، مقدمة في تاريخ الأرشفة ووحداته، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1993، ص: 15.

³-الموسوي مصطفى مرتضى، الوثائق، بغداد، الجامعة المستنصرية، 1979، ص: 08.

⁴-الشويفات محمد، الموسوعة العربية العالمية ، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة، مج:22، 1999، ص، ص: 03،22.

-**الخرائط:** بعد التطورات التي شهدتها الخرائط خاصة بعد اختراع الكتابة، أصبحت تكتسب قيمة كبيرة ومصدرا أساسيا للبحث بعد استعمالها لتقنيات أكثر دقة ووضوح، وكذلك أصبحت تعد وسيلة أساسية لإنجاز الدراسات التاريخية، فالخرائط مصدر من مصادر الحصول على المعرفة، وكذلك تعد من المواد الأساسية للمواد الاجتماعية¹.

-**الوثائق المطبوعة:** وهي نتاج استخدام آلات الطباعة أو عن طريق الحاسوب مثل الوثائق الإدارية، أي أنها دونت لأهداف متنوعة. ومع مرور الوقت أصبحت الوثائق المطبوعة مصدرا أساسيا من المصادر الأرشيفية التاريخية التي يعتمد عليها الباحثون والمؤرخون، ويحتاجونها في دراسة العديد من الأغراض التاريخية².

-**الأرشفيف الإلكتروني:** وهو سلسلة من الرموز المسجلة على أوعية، ويعد الوحدة الأساسية في عالم المعلومات الإلكترونية ما يستلزم اللجوء إلى وسائل تكنولوجيا لقراءتها والاستفادة منها، فهي تختلف عن الوثائق الورقية التي تحتوي على معلومات قابلة للاستغلال فورا ودون تجهيزات خاصة. ويتميز هذا النوع من الوثائق بالعملية وسرعة الاستغلال والنسخ والتعديل والتبادل، كما تقضي على مشكل الحيز المكاني نتيجة لطاقة الاستيعاب الهائلة لها³.

أ- 2- حسب ملكيته:

يصنف الأرشفيف حسب ملكيته إلى ما يلي:

-**الأرشفيف العمومي:** هو كل الوثائق المنتجة والمحافظة من طرف جهة عمومية، أي غير قابل للتملك أو التصرف فيه، سواء عن طريق البيع أو الشراء أو الهبة، يصنف من أملاك الدولة أي ملكية عمومية⁴.

¹-يطو صدام، حاج عبد الباقي، تقنيات حفظ الأرشفيف في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة، رسالة ماجستير في علم المكتبات، مستغانم، جامعة عبد الحميد بن باديس، 2017، ص: 43.

²-ملحم عصام توفيق أحمد، مصادر المعلومات الإلكترونية في المكتبات الجامعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2011، ص: 143.

³-شرقي فتحة، "دور الأرشفيف في حفظ ومعالجة الأرشفيف الإلكتروني"، مجلة المكتبات والمعلومات، مج2، ع03، 2003، ص: 79.

⁴-حافظي زهير، الأنظمة الآلية ودورها في تنمية الخدمات الأرشيفية: دراسة تطبيقية بأرشفيف بلدية قسنطينة، أطروحة دكتوراه، قسنطينة، جامعة منتوري، 2008، ص: 37-38.

-**الأرشيف الخاص:** هو الأرشيف الصادر عن جهات غير رسمية أو هيئات أو شخص معنوي ويبقى لصاحبه، أي أنه مجموع الوثائق المنتجة من طرف الأشخاص أو العائلات أو المؤسسات أو المنظمات الغير عمومية، أي أنه ملكية خاصة لأفراد معينين أو مؤسسات خاصة. وهناك من أطلق عليه الوثائق شبه الرسمية في كافة الوثائق الصادرة عن الأفراد والجماعات والمنظمات والاتحادات، وصفة شبه رسمية نتيجة لموافقة الجهات العمومية لهذه الجهة بممارسة نشاطها¹.

أ-3- من حيث المحتوى:

-**الأرشيف التاريخي:** وهو الأرشيف الذي يتم حفظه حفظاً أبدياً في ظروف ملائمة حتى يستخدم للبحث فيما بعد، ثم معالجته ووصفه وإعداد وسائل للبحث من خلاله، إذ يعد إرثاً ثقافياً وحضارياً للأمة².

-**الأرشيف القضائي:** يتكون من مجموع الوثائق المنتجة والمستلمة من طرف الجهات القضائية (المجالس، المحاكم) في إطار تأدية مهامها ونشاطها اليومي، ويصنف ضمن الأرشيف العمومي³.

-**أرشيف الأدب والفنون:** يضم كافة الوثائق التي تتصل بالحركة النقابية في البلد، ونشاط الجمعيات والمؤسسات الأدبية والثقافية، ووثائق الشخصيات البارزة في مجال الثقافة والآداب والصحافة الأدبية، فهو يحتوي على وثائق المؤسسات والدوائر والجمعيات والنوادي الفنية⁴.

-**الأرشيف الإداري:** يضم ووثائق الوزارات والمؤسسات والدوائر الحكومية.

-**الأرشيف العسكري:** يضم الوثائق العسكرية عامة سواء التنظيم العسكري، الحروب، الأسلحة، الاختراعات العسكرية، الخطط العسكرية، ويتسم بالسرية.

¹-مرجع نفسه، ص: 40.

²-الخولي جمال، مرجع سابق، ص: 56.

³-زيان حسنية، أثر الأرشيف القضائي: مصلحة أرشيف مجلس قضاء وهران نموذجاً، رسالة ماجستير في علم مكتبات، جامعة وهران، 2013، ص: 50.

⁴-سالم عبود الألوسي ومحمد محجوب مالك، الأرشيف: تاريخه، أصنافه، إدارته، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1979، ص: 47.

-**الأرشفيف السري**: ويضم الوثائق السرية التي تتصل بسلامة وأمن الدولة وسياستها، وغالبا ما يكون هذا الأرشفيف تحت شخصية مسؤولة، ويرتبط برئاسة الوزراء أو الوزارة الداخلية.

-**أرشفيف المؤسسات والهيئات الدينية**: ويضم وثائق مساجد وزارة الأوقاف، كنائس ، وكذلك الجمعيات، المدارس الدينية ، الطوائف وفتاوى علماء الدين¹.

ب- خصائص الأرشفيف:

يستمد الأرشفيف مجموعة من الخصائص تميزه عن الوثائق الأخرى، وهذه الخصائص ناتجة عن مميزات المعلومة الأرشفيفية، وأهم هذه الخصائص ما يلي:

النشأة الطبيعية: تنتج الوثائق في شكل طبيعي دون تدخل عمدي للأفراد والمنتجين، أي أنها تشكل بطريقة عفوية ، وبالتالي فالوثائق الأرشفيفية عبارة عن مادة خام من المعلومات التي تتجمع بطريقة طبيعية.

عدم التحيز: تتميز هذه الوثائق بعدم التحيز لأي جهة كانت، باستثناء الإدارة التي أنتجتها إذ هي جزء منها².

النُدرة: لا يمكن للوثيقة أن تكون بنفس الشكل أو نفس المحتوى في إدارة أو دولة أخرى، فهي تتميز بتفرداها عن مصادر المعلومات الأخرى فلا تعوضها أي وثيقة أخرى.

الترابط: كل وثيقة أرشفيفية مرتبطة بأخرى، وبالتالي لا بد من الحفاظ على تتابع الوثائق وترتيبها حتى تجمع الحقيقة كاملة³.

التنوع: مختلفة الشكل، منها الخرائط، ملفات إدارية، مخططات.

القدم: تتمثل صفة القدم في الأرشفيف، تمر بثلاث مراحل أساسية، وفي كل مرحلة تكتسب قيمة، حيث تتراوح بين القيمة الإدارية والعلمية والتاريخية⁴.

ج- مراحل تطور الأرشفيف:

يعتبر الأرشفيف من أقدم الوظائف التي مورست على وجه الأرض بحكم ارتباطه بالتسجيل والكتابة والرسم، والأرشفيفات كانت موجودة في الحضارات القديمة، فقد وجدت

¹-مرجع نفسه، ص: 57.

²-محمد محبوب، إدارة الوثائق الأرشفيفية، بيروت، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط2، 1992، ص: 18.

³-مرجع نفسه، ص: 15.

⁴-حافظي زهير، مرجع سابق، ص، ص: 37، 38.

أقدمها في الشرق القديم، كذلك عند الإغريق والرومان. ومن المعروف تاريخياً أن بلاد ما بين النهرين كانت الموطن الأول للكتابة والتدوين، فقد اخترع العراقيون القدماء الكتابة الصورية، ودونوا على الطين والأحجار معارفهم وعلومهم. ومن العراق أخذت الكلمة المكتوبة تنتشر في بقية أرجاء الشرق القديم، وكانت المواد الأرشيفية غالباً ما تحفظ في مكان واحد سواء في المعابد أو قصور الملوك أو غيرها.

وقد وجد في الشرق الأوسط أقدم الأرشيفات، منها أرشيف مملكة "أوقاريت" الذي يعود إلى القرنين 13 و 14 ق.م بمنطقة بسوريا، الذي يظم عقود واتفاقيات ولوحات أرشيفية. وفي العراق وجدت قاعات للأرشيف مزودة برفوف كانت مرتبة بطريقة جيدة، ودستور "حامورابي" المنقوش على الألواح الطينية خير دليل على ذلك، أما عند المصريين وجدت لهم مدونات قانونية ورسمية كتبت على البردي. وبصورة عامة الأرشيفات كانت معروفة عند قدماء العراقيين والمصريين القدماء، والمآذيين والفرس والأمم الأخرى¹.

أما بالنسبة للإغريق والرومان لم يظهر أثر على وجود الأرشيف عند الإغريق القدماء، أما بالنسبة للرومان فكان الأرشيف الرئيسي قد أسسه السياسي الروماني "فاليريوس بوبليكولا" وذلك في حدود 509 ق.م، بحيث كان موضعه داخل معبد الإله زحل، وفي هذا الموضع كانت توجد خزنة تحفظ بها الوثائق القانونية والمراسيم ومستندات المقاطعات، وقد تم إنشاء دار الوثائق القيصريّة في عهد الإمبراطورية جمعت فيها كافة الوثائق².

أما في العصور الوسطى فقد شهدت تعدد السلطات، وكان لكل سلطان أرشيفه الخاص، وأهم ما ورثته أوروبا عبر العصور الوسطى هي الوثائق الكنسية³. وفيما يخص الفترة الحديثة فقد ظهرت أرشيفات متطورة على ما كانت عليه خاصة في أوروبا، ففي ألمانيا ظهرت العديد منها وهي جد منظمة من أهمها "أرشيف الريخ" وفروعه وأرشيف الولايات، أما

¹ - بن جميل رميساء والمعادى عفاف، الأساليب الحديثة لتسيير الأرشيف الولائي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في علم المكتبات، جامعة 8 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قالمة، 2019-2020، ص: 01، 26.

² - جمال شعبان، مدخل إلى علم الأرشيف، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة علوم المكتبات والوثائقية والأرشيف مستوى ليسانس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، 2017-2018، ص: 11، 12.

³ - خالد جعيجع، أهمية الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015-2016، ص:

في فرنسا فقد كانت الوثائق بيد السلطات قبل الثورة الفرنسية، ونابليون بونابرت كان طموحا في لم وجمع الوثائق الفرنسية، ورغب بجعل الأرشيف الوطني الفرنسي أرشيفا لأوروبا عامة، وقد ضم وثائق من إسبانيا وبلجيكا وألمانيا والفاينكان، لكن الثورة الفرنسية قامت بإحراق العديد من الوثائق الإقطاعية وعملت على توحيد الأرشيفات، وأسست الأرشيف الوطني وأصبحت مركزا للدراسات التاريخية¹.

وفي إنجلترا وجد أرشيف ملكي من القرن التاسع للميلاد، لكن لم يكن له مكان خاص، فكانت الوثائق موزعة هنا وهناك، وبحلول عام 1838م صدر قانون "جار الوثائق العامة" جمع بموجبه المجموعات الأرشيفية المتفرقة. وقد تعاضم الاهتمام بالأرشيفات والوثائق بعد الحرب العالمية الثانية، بحيث تم تخصيص البنايات الضخمة الحديثة لحفظ الوثائق².

أما بالنسبة للأرشيفات الإسبانية فقد عرفت منذ القدم عناية كبيرة، ومنذ البداية فصلت الأرشيف الإداري عن التاريخي، ولها وثائق تاريخية ذات أهمية بالغة تتعلق بعدة دول أوربية وممالك إسلامية، فهي تمتلك وثائق عن استكشافات جغرافية وحركات دينية وغير ذلك³.

أما بالنسبة للدول العربية فقد أسست دور للوثائق، ولكنها قليلة جدا والتنظيم فيها ضعيف، فهي متخلفة في ميدان التنظيمات والوثائقية والإدارات الأرشيفية، والدول الوحيدة التي سجلت اهتماما نسبيا بدور الأرشيف هي مصر والجزائر⁴.

المبحث الثاني: لمحة عن الأرشيف العثماني:

المطلب الأول: الأرشيف العثماني ونشأته:

1- تعريفه:

اصطلح الباحثون المهتمون بمراكز الأرشيف والوثائق العثمانية الموجودة بتركيا على إطلاق مصطلح الأرشيف العثماني على أرشيف "رئاسة الوزراء" الموجودة بحي السلطان أحمد في مدينة إسطنبول، بالإضافة إلى المقر الذي تحفظ فيه الوثائق المتعلقة بالدولة

¹ - بن جميل رميساء والمعادي عفاف، المرجع السابق، ص، ص: 25، 26.

² - مواعي فتحة وهدية ميمونة، تسيير الأرشيف في المؤسسات والإدارات العمومية: دراسة ميدانية بأرشيف ولاية تيارت، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر علم المكتبات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2018-2019، ص: 26.

³ - خالد جعيجع، المرجع السابق، ص: 18.

⁴ - مواعي فتحة، المرجع السابق، ص، ص: 26، 27.

العثمانية مثل أرشيف طوب قابي وأرشيف البحرية، ويعتبر الأرشيف العثماني أول أرشيف منظم في العالم الإسلامي، ويتميز بالعدد الضخم لوثائقه المتنوعة، بحيث أنه 03 أكبر أرشيف في العالم¹.

وهو مجموعة المصادر التاريخية التي تعود للعهد العثماني، وهي تضم وثائق تهم 39 بلدا مختلفا من بينها 19 بلدا في منطقة الشرق الأوسط، و 11 بلدا في البلقان، وثلاث بلدان في القوقاز، وبلدين في وسط آسيا وقبرص وتركيا وغيرها².

فهو يضم 200 مليون وثيقة التي تغطي مختلف النواحي الاجتماعية، الصحية، الثقافية، الاقتصادية، السياسية وغيرها. وتعد هذه الوثائق والسجلات مرجعا مهما لمن أراد العمل في تدوين التاريخ لغزارة المادة التاريخية التي تقدمها، فهو مرجع تاريخي مهم جدا، وهو ذاكرة الأمة وضميرها، خاصة أن الدولة العثمانية عاشت تحت مظلة حكمها العديد من الدول، لهذا يجب الرجوع إلى ذلك الأرشيف الذي يعد مخزونا معرفيا يأوي بداخله ذاكرة ثلاث قارات، فهو خريطة طريق رسمت في وثائقه الماضي ويتأرجح بين وثائقه الحاضر، وتتوح في ملفاته ملامح المستقبل، ولم يكشف سوى 35% من تلك الوثائق التي تحتوي على كنوز الآلاف من المخطوطات والوثائق، وتركيا غنية بها، وذلك عائد لما ورثته عن الدولة العثمانية التي حكمت رقعة جغرافية واسعة لمدة تجاوزت 600 سنة³.

وبالتالي الأرشيف العثماني هو مجموعة وثائق ودفاتر وسجلات توثق تاريخ هذه الدولة منذ نشأتها إلى غاية تأسيس الجمهورية التركية عام 1924م، ويشمل جميع الدول التي كانت تحت الحكم العثماني⁴.

2- نشأته:

لقد عيّنت الدولة العثمانية بالأرشيف العثماني عناية فائقة، سواء كانت المادة الأرشيفية تخصها أو تخص غيرها من الدول، حيث بدأت فكرة اهتمامها بالأرشيف في القرن 16م،

¹-خالد جعيجع، المرجع السابق، ص: 17.

²-حنيفي هلايلي، "مساهمة الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ العلاقات الجزائرية العثمانية في ضوء وثائق خط همايون ودفتر مهم 1519-1830"، الحوار المتوسطي، المجلد: التاسع، العدد: 02، نوفمبر 2018، ص: 132.

³-سهيل صابان، "الجوف في وثائق الأرشيف العثماني"، الجوية، العدد: 16، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، السعودية، ربيع 1428هـ/ 2007م، ص: 07.

⁴-مروان الأفرع، الأرشيف العثماني، مركز البرق للأبحاث والدراسات، 14 يونيو 2016، ص: 01.

ومنذ قيامها اهتمت بحفظ الوثائق الرسمية، وأكبر دليل على عنايتها هو الحفاظ على الدفاتر والسجلات في فرمان صادر عن ديوان الجيش في عهد السلطان "مصطفى الثالث (1754-1774م)"، فقد أمرهم بالحرص على سلامة الوثائق والدفاتر وأي تقصير يتعرض صاحبه للعقوبة. هذا وقد وضعها في مبنى حجري، وأولى المحاولات لتنظيم الأرشيف العثماني تعود إلى سنة 1754م إذ أنشئت "خزينة الدفتر خانة" الموجودة بها الدفاتر والسجلات الخاصة بالأراضي والمقاطعات في الولايات العثمانية، ولقد كانت موجودة بقصر طوب قابي وحولت فيما بعد إلى المخزن المسمى القصر العتيق بمنطقة السلطان أحمد¹.

وقد حرص السلاطين العثمانيين على حفظ وصيانة الوثائق المحررة، والدفاتر والمعاهدات، وذلك من خلال فرمان الذي أصدره السلطان "عبد الحميد الأول" سنة 1755م يأمر فيه رئيس الكتاب بالديوان الهامايوني بوضع كل السجلات والوثائق تحت مسؤولية "أمين دفتر خانة"، وذلك خاصة بعد اختراق أجزاء من وثائق القصر السلطاني سنة 1754م².

لكن الوثائق وضعت في أكياس وصناديق مما عرّضها للتلف، ومن ثم تمّ الفصل في الوثائق عن بعضها البعض في عهد "محمد أمين باشا" في 12 مارس 1845م. وزاد تطور التوثيق عند العثمانيين أيام الصدر الأعظم "مصطفى رشيد باشا" الذي أدرك أهمية الأرشيف، فأصدر قراراً في 12 سبتمبر 1847م نص فيه على إقامة مؤسسة باسم "خزينة الأوراق"، وأنشأ مبنى خاص بالأرشيف رسمياً في 03 أكتوبر من سنة 1847م بمصادقة السلطان "عبد المجيد" على مرسوم لبنائه، وتم تعيين "حسن أفندي" كمسؤول عن هذا المبنى الذي عرف "بمديرية خزنة الأوراق"، وغير اسمها فيما بعد باسم "وزارة خزينة الأوراق"³.

¹-نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف العثماني فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزراء باستانبول، ترجمة: صالح سعداوي، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ومركز الوثائق والمحفوظات بالجامعة الأردنية، عمان، 1986، ص: 37.

²-خالد جعيجع، المرجع السابق، ص: 19.

³-خميسي سعدي، محاضرات في مصادر تاريخ الوطن العربي، مطبوعة في مقياس مصادر تاريخ الوطن العربي، موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر، تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، بالمركز الجامعي الشهيد سي الحواس، بركة، 2020-2021، ص: 29.

وفي 22 فيفري 1848م صدرت لائحة مؤقتة من المجلس الأعلى للأحكام العدلية تحددت فيها المناهج لفرز الوثائق وحفظها في خزانة الأوراق¹. وفي سنة 1850م بدأ الشروع في الاستفادة من الوثائق الأرشفية وافتتح رسمياً، وتم تغيير اسم "وزارة خزانة الأوراق" إلى "مديرية خزانة الأوراق"، وبقيت تحمل ذلك الاسم إلى غاية نهاية الخلافة العثمانية في سنة 1924م².

ومن خلال ما سبق نستنتج بأن تاريخ نشاط التوثيق بالإمبراطورية العثمانية يعود إلى فترة حكم الصدر الأعظم "مصطفى رشيد باشا"، هذا الأخير الذي أصدر قراراً عقب توليه منصب الصدارة في 07 شوال 1262هـ الموافق لـ 28 سبتمبر 1846م بإقامة مؤسسة أطلق عليها اسم "خزانة الأوراق" تكون بمثابة أرشيف للدولة بمدينة اسطنبول عاصمة الإمبراطورية، حيث أنشأ المبنى الخاص بها خصوصاً وأن الصدر الأعظم "مصطفى رشيد باشا" قد عمل بالسفارات العثمانية ببلدان أوروبا مثل فرنسا وإنجلترا، أين اكتشف ولاحظ تلك الأهمية التي يولونها للأرشفات الموجودة هناك³.

إن عملية الحفاظ على الأوراق التاريخية الموجودة بالقصر العثماني قد لقيت ما يليق بها من الدعم المادي والمعنوي والإرادة السياسية في تفعيله، خصوصاً وأن العثمانيون كانوا قبل افتتاح دائرة الأرشيف يسجلون الوثائق في دفاتر معينة بهدف حماية الحقائق والحقوق بصورة عامة، ويحفظونها بحرص شديد كي يرجعوا إليها بسهولة عند الحاجة، فخزانة الأوراق اعتبرت بمثابة مكتبة واسعة منظمة داخل الباب العالي، وذلك لأجل العثور ببسر وسهولة على وثائق الدولة عند البحث عنها ونقلها وحفظها، حيث انقسم الترتيب الداخلي لمبنى خزانة الأوراق إلى ثلاثة أقسام هي:

¹ -نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، المرجع السابق، ص: 39.

² -خالد جعيجع، المرجع السابق ص: 19.

³ -نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، المرجع السابق، ص: 39.

- أوراق الداخلية.
- أوراق الخارجية.
- أوراق الأمور الديوانية¹.

مع تخصيص حجرات أو غرف مستقلة لكل نوع من الأوراق، ومع وضع مجموعة من الخزائن المنظمة في كل حجرة، حيث يتم ترتيب الأوراق الهامة داخلها في شكل مجموعات، مع لصق جداول القوائم والأرقام على الخزائن بغية تسهيل عملية العثور على الأوراق المطلوبة عند البحث عنها، كما تم الحرص على توفير التهوية لتلك الأوراق حسب كل موسم لتفادي تلفها، مع تعيين شخص يشرف عليها يدعى "أمين خزانة الأوراق"، ضف إلى ذلك إلحاق مكتبة بها متخصصة توضع بها كتب التاريخ والجغرافيا والخرائط اللازمة بغية الرجوع إليها وقت الحاجة².

هذا وقد بدأ العمل بدائرة الأرشيف المسماة بخزانة الأوراق عام 1850م، بعد أن تمت أعمال البناء بها بين عامي 1848م و1849م، وبعد تجهيزها بمختلف الخزائن والرفوف للاستفادة من خدماتها الأرشفية في السنة الموالية. وتمر السنوات لنشاط هاته المؤسسة الأرشفية التي كان يطلق عليها اسم نظارة خزانة الأوراق ليتغير بعدها إلى اسم "مديرية خزانة الأوراق" التي احتلت مكانا مرموقا بين دوائر الصدارة حتى نهاية الدولة العثمانية أين تعاقب على الخدمة فيها وحتى إلغاء الإمبراطورية اثنا عشر مديرا³.

¹ -نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، المرجع السابق، ص: 40.

² - أشرف سعدون طه، المرجع السابق، ص: 426.

³ - من بينهم: السيد حسن محسن أفندي ونوري بك و وطاهر بك، وعبد اللطيف بك وشفيق بك وعطا بك ومحمد عزت بك ورفيق بك وسيرت بك، وجلال بك وقصري بك ومحمود نديم بك للمزيد ينظر: نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، المرجع السابق، ص: 41.

- وتكمن أصناف وأجناس الأوراق التي وضعت في خزانة الأوراق في ما يلي:
- أوراق خاصة بالنظمات العسكرية.
 - أوراق خاصة بتسجيل عدد السكان في ممالك الدولة العلية العثمانية.
 - أوراق خاصة بعدد من الوقائع بولاية مصر والحجاز وبلاد الشام، وفلسطين والبوسنة وألبانيا وكردستان والجزائر وطرابلس وتونس.
 - أوراق خاصة بتوجيه رتب الوكلاء والوزراء وعدد من الموظفين.
 - أوراق خاصة بالمسائل المالية للخزينة.
 - أوراق خاصة بمصالح الحرمين الشريفين والأوقاف الهمايونية.
 - أوراق خاصة بإشعارات سفراء الدولة العلية العثمانية.
 - أوراق خاصة بالمصالح مع الدول الأجنبية مثل فرنسا وروسيا والإنجليز والنمسا وسويسرا وبلجيكا والدنمارك وأمريكا¹.
- وعليه فإن الوثائق الأرشفية الخاصة بالفترة العثمانية تتوزع بتركيا على دور الأرشيف على النهج الآتي:
- أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول.
 - أرشيف متحف "طوب قابي سراي" باسطنبول.
 - أرشيف المديرية العامة للأوقاف بأنقرة.
 - أرشيف سجلات المحاكم الشرعية في عدة محافظات تركية.
 - أرشيف السجلات الشرعية باسطنبول.

¹ - نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، المرجع السابق، ص، ص: 49، 52.

- أرشيف نظارة "وزارة" المعارف الملغاة بأنقرة.
- أرشيف المديرية العامة للسجل العقاري والمساحة بأنقرة.
- أرشيف بحري باسطنبول.
- أرشيف مخزن الأوراق لوزارة الخارجية باسطنبول.
- أرشيف نظارة المالية الملغاة باسطنبول.
- أرشيف دائرة تاريخ الحروب بأنقرة.
- أرشيف نظارة الصحة الملغاة بأنقرة.
- أرشيف نظارة الحربية والطوبخانة الملغتين بأنقرة.
- أرشيف بلدية اسطنبول¹.

هذا إلى جانب تواجد عدة مؤسسات ومراكز أرشيفية تضم عدة وثائق أرشيفية مؤرخة خلال العهد العثماني، أمثال المكتبات والمتاحف وغيرها. وبالتالي تعتبر دور الوثائق العثمانية مؤسسات نموذجية في هذا الجانب، إذ أن الدولة العثمانية حافظت على ملايين الوثائق ولم تقدم على إعدامها أو التخلص منها، وحفظت جميع الوثائق الخاصة بالدولة مهما كانت درجة أهميتها.

ويستشف أن الدولة العثمانية التي امتدت أراضيها في قارات آسيا وأوروبا وإفريقيا، والتي حافظت على أوج قوتها وعظمتها لعدة قرون، قد كان لها استراتيجية وفكر وضع أرشيف من خلال خطة تنظيم الوثائق التي وضعتها على أسس عدة نظم، حافظت على تلك الوثائق إلى يومنا هذا².

ولقد حاول الكماليون التخلص من الأرشيف العثماني، وشرعوا ببيع وثائقه كورق للتدوير لدول كبلغاريا، وحدث ذلك عام 1931م تم بيعه بسعر الخردة بثلاث قروش لإنتاج عجينة الورق، وقد ضم وثائق تاريخية مهمة وهي ضرورية، حتى تدخل بعض وجهاء المجتمع أوقفوا العملية محاولين إنقاذه من الضياع³.

¹-عثمان زكي صويغت، "دور الأرشيف في تركيا"، بحث منشور في مجلة الوثيقة، عدد خاص، ص: 182.

²- نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، المرجع السابق، ص: 37.

³- قاسم هيظلي، "تاريخ مباح بثلاثة قروش للأوقية"، مجلة تراثنا، العدد: 67، سبتمبر / أكتوبر، 2018م، ص: 08.

وتحفظ الوثائق اليوم في خزانات معدلة الحرارة والرطوبة، وللاستفادة منها يتجه الباحثين إلى إدارة الأرشيف العثماني الواقعة بقرب من مسجد السلطان أحمد بإسطنبول، وعند الدخول يوجد مكاتب التسجيل، ولا بد من إحضار وثائق السفر لتمنح لهم استمارة خاصة ببيانات الباحث، فيها معلوماته من جنسية واسم وعنوان، والرقم الوطني وغير ذلك. وبعد تعبئتها يسلمها وتمنح له بطاقة، ثم يذهب إلى الاستعلامات ليسجل دخوله ولاستلام المفتاح، وفي غرفة الأمانات له صندوق خاص يضع فيه أغراضه، ويتجه إلى صالة البحث وقاعات البحث يوجد نظام البحث الذي يكون إما إلكترونيا عن طريق الجهاز، أو يدويا عن طريق طلب الوثيقة، ثم يدفع الفاتورة بعد البحث واختيار الوثائق ليستلم الوثائق، ويمكنه الاستعانة بمساعدين مختصين في البحث في الأرشيف العثماني، لأن الأرشيف يحتاج للوقت الكثير ويجب معرفة اللغة التركية أيضا والمال¹.

يوجد للأرشيف العثماني مقران أحدهما في إسطنبول "بكاغت هانة"، والثاني في أنقرة، ويحتوي على العديد من الموظفين تتوزع أعمالهم بين ترميم وحماية الوثائق، وترجمتها من اللغة العثمانية إلى اللغة التركية وجعلها متاحة للباحثين. كما يقوم خبراء مختصين بصيانة الوثائق وإصلاحها حتى يمكن تصويرها والاستفادة منها، ويمكن للباحثين الاطلاع عليها بصورتها الأصلية².

وبما أن الدولة العثمانية كانت دولة مترامية الأطراف في العالم، فهناك العديد من صناديق الأرشيف العثماني موزعة في بلدان عديدة، حيث كانت لها علاقات دبلوماسية معها، أو كانت من الأقاليم الخاضعة للسلطة العثمانية. ففي فيينا مثلا يوجد أرشيف يسمى "دفتر المهمة"، وفيه دفاتر تحتوي 300 فرمان، وأخرى أكثر من 1000 فرمان، وذلك يعود لأن السلاطين العثمانيين حاصروا فيينا مرتين، ولما كان الجيش العثماني يخرج للمعركة يخرج معه الكتبة، فكانوا يتركون وراءهم مخلفات لا تحصى، من ضمنها العديد من الدفاتر

¹- زينب الطحان، "الأرشيف العثماني يعيد قراءة التاريخ العربي في زمن السلطنة"، مجلة أرشيفو، العدد: 12، 25 مايو 2021، ص: 01.

²- سهيل صابان، "الأرشيف العثماني في خدمة التراث العربي"، محاضرة أقيمت في ملتقى الآداب بكلية الآداب جامعة الملك سعود، في يوم السبت 18 ذي القعدة 1427هـ / 09 ديسمبر 2006م، ص: 02.

والوثائق، وتتواجد وثائق عثمانية في فرنسا وألمانيا وغيرها من البلدان نظرا إلى المعاهدات والاتفاقيات فيما بينها¹.

هذا وقد أراد "مصطفى كمال أتاتورك" التخلص من جميع إرث الدولة العثمانية عام 1931م، باعتبارها دولة جلبت العار للأتراك، لهذا قامت الحكومة التركية ببيع كميات ضخمة من الوثائق العثمانية كما ذكرنا إلى مصانع الورق في بلغاريا، ومن كثرة ضخمتها نقلت في عربات القطارات، ولما اكتشفت أهميتها وضعتها الحكومة البلغارية في أرشيفها. وتوجد في المكتبة الوطنية بصوفيا، وبها كنوز من المخطوطات النادرة العثمانية، وأكثر من 160 ألف من السجلات، وألف من الدفاتر العثمانية، وما يزيد عن مليون من الوثائق الفردية².

المطلب الثاني: أهم دور الأرشيف العثماني:

1- أرشيف رئاسة الوزراء:

المعروف بالأرشيف العثماني أهم أرشيف في تركيا، يضم الأرشيف عددا من الدفاتر والأوراق والملفات والخرائط وبعض الصور، وكلها عائدة للعهد العثماني ومكتوبة بالحروف العربية، وبينها الكثير من الوثائق باللغة العربية وكذلك بالفارسية وبالفرنسية في القرن التاسع عشر. والوثائق هذه صادرة عن ثلاث مؤسسات مركزية رئيسية في الدولة العثمانية الديوان الهماليوني - باب آصفي - باب دفتر، ويشكل أرشيف يلديز للسلطان "عبد الحميد الثاني" قسما هاما من أرشيف رئاسة الوزراء، كما يضم هذا القسم الوثائق الخاصة بعهدي السلطان "عبد العزيز" والسلطان "مراد الخامس"، وبصورة عامة تنقسم وثائق العهد العثماني في أرشيف رئاسة الوزراء إلى قسمين رئيسيين:

أولا: الدفاتر.

ثانيا: الأوراق³.

¹- زينب الطحان، المرجع السابق، ص: 02.

²- خالد عبد القادر الجندي، أبحاث في تاريخ الدولة العثمانية: افتراءات وحقائق، ج2، دار إقتصاد، أنقرة، تركيا، ص: 28، 29.

³- محمود عباس حمودة، الوثائق العثمانية في تركيا ومصر ودول شمال إفريقيا، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 1999، ص: 16.

2- أرشيف قصر طوب كابي:

وهو الأرشيف الموجود في متحف قصر طوب كابي باستانبول، وللعلم فإن القصر قد اتخذ مقرا للحكم باستانبول، وفيه وثائق متعلقة بنشأة الدولة العثمانية من 1299م إلى سقوطها عام 1924م. ويحتوي أرشيف طوب كابي حوالي مائتي ألف وثيقة مصنفة ومحفوظة، وجد به ستة وسبعون صندوقا ضخما من مخلفات السلاطين العثمانيين، تحتوي هذه الصناديق على دفاتر وأوراق تمتد إلى حوالي خمسة قرون من الزمان في عصر الإمبراطورية العثمانية¹.

3- أرشيف البحرية:

وهو أرشيف المتحف البحري الذي يوجد في استانبول أيضا، ويضم الوثائق التي تتعلق بشؤون البحرية العثمانية في مختلف العهود العثمانية، وفيه معلومات عن بعض موانئ الخليج وموانئ البحر الأحمر².

4- أرشيف الجمهورية:

وهو الأرشيف الذي يضم وثائق الجمهورية التركية التي قامت على جزء صغير من أراضي الدولة العثمانية، ومقر هذا الأرشيف العاصمة أنقرة، وفيه وثائق من العهد العثماني عن بعض العلاقات بالدولة العثمانية في عهد الإمبراطورية العثمانية³.

5- دفاتر ديوان همايون: دفاتر مهمة:

فيها تسجيل جميع الأحكام والأوامر الصادرة من ديوان همايون، والمتعلقة بمختلف شؤون الدولة. وبالرغم من تسلسل أرقام هذه الدفاتر، فهناك بعض الأعوام لم تسجل أحداثها، وقد عثر على بعض الأجزاء تسد الفراغ في دفاتر المهمة، ولا يزال البحث مستمرا في هذا المضمار. كما أن الدفتر العشرين من هذه الدفاتر مفقود، وللعثور على الوثائق المطلوبة

¹-سهيل صابان، الجوف في وثائق الأرشيف...، مرجع سابق، ص: 6.

²-المرجع نفسه، ص: 06.

³-مرجع نفسه، ص: 12.

فيها يجب تفحصها من أولها إلى آخرها واحدا واحدا، حيث لم يتم بعد تنظيم كاتلوكات لها بكاملها¹.

6- الديوان الدفتری وأقلامه:

ويضم سجلات رئاسة المحاسبة والدوائر والأقلام التابعة لها مثل سجلات قلم وكالة الذمم وسجلات أقلام الأمانات، الشؤون المالية مصانع الذخيرة والبارود، والمنقولات والغنائم وسجلات قلم المشاة والفرسان، وقلم المقاطعات الخاصة ورسوم البن وغيرها.

7- أرشيف المديرية العامة للأوقاف:

يوجد أرشيف المديرية العامة للأوقاف في أنقرة، ويشمل على وقفيات مختلفة منها ما يخص سلاطين الممالك وأمراءهم، ومنها ما هو للسلاطين العثمانيين وكبار رجال الدولة العثمانية².

8- أرشيف صكوك تملك الأراضي:

مقره في أنقرة، وفيه سجلات كثيرة عن الأراضي وأصحابها في العهد العثماني³.

9- أوراق ديوان همايون:

معظم هذه الأوراق عائدة للقرن الثامن عشر وما بعده، أما الأوراق العائدة لما قبل القرن الثامن عشر فلم يكن العثور إلا على مقدار ضئيل منها، وفيما يلي نذكر أهم الوثائق المعروضة للبحث والتدقيق في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول. أولا النسخ الأصلية لجميع المعاهدات والاتفاقيات المعقودة مع دول أجنبية، كارتونات تامة تضم النسخ الأصلية لرسائل سلاطين عثمانيين، وكذلك هناك أوراق "صندوق نامه" تضم وثائق تتعلق بمسائل خارجية هامة، وأوراق الديوان الهمايوني القديمة والحديثة، وهي عائدة للقرن تاسع عشر⁴.

المطلب الثالث: تصنيفات وثائق الأرشيف العثماني:

¹- عثمان زكي صويغت، "دور الأرشيف في ترقية"، مجلة تراثا، العدد: 50، محرم- صفر 1435هـ/ نوفمبر- ديسمبر 2013م، ص: 5.

²- محمود عباس حمودة، مرجع سابق، ص: 15.

³- سهيل صابان، الجوف في وثائق الأرشيف...، مرجع سابق، ص: 10.

⁴- عثمان زكي صويغت، مرجع سابق، ص: 12.

لقد صنف الوثائق في الأرشفة حسب نظام الأصل أو المصدر الذي يعتمد على تصنيف الوثائق، حسب المنشأ الأصلي ثم التسلسل الزمني. وما زال العمل مستمرا بهذا الأسلوب منذ أكثر من ثلاثين سنة، حيث تم الفراغ من تصنيف الأوراق الخاصة بالتشكيلات المركزية العثمانية والديوان الهمايوني والباب الأصفي والباب دفتري ودوائر الصدارة العظمى والنظارات.

وهي تشكل ما يقارب خمسة عشرة مليون وثيقة، وما زالت أعمال الفهرسة ووضع القوائم الخاصة بها مستمرة إلى وقتنا هذا¹، فمن التصنيف الموجودة في الأرشفة العثمانية نذكر ما يلي:

1- دفاتر المهمة:

وهي دفاتر خاصة بقلم الديوان، تضم قيود الفرمانات والأحكام الصادرة عن الديوان الهمايوني التي تمت مذاكرتها في اجتماعات الديوان فيما يتعلق بشئ أمور الدولة من القضايا الداخلية والخارجية .

2- الخط الهمايوني:

أو الفرمانات ويوجد في تصنيف الخط الهمايوني عدد كبير من الوثائق ما بين خطوط همايونية وإرادات سنوية ورسائل همايونية، وبه وثائق تعود إلى عهد محمود الأول، إلى أن غالبية الوثائق تخص عهد سليم الثالث ومحمود الثاني².

3- إرادات شوري الدولة: وهي التشكيل الذي تم تأسيسه بعد إلغاء المجلس الأعلى، وكان ينظر في أمور محاكمة موظفي الدولة وتقاعدهم، وأعمال الإنشاء والتعمير، وامتنيازات المناجم ومراجعة لوائح النظم والتعليمات³.

4- محاضر مجلس الوزراء: وتسمى مضابط مجلس الوكلاء، وتحتوي على القرارات الصادرة نتيجة للمناقشات والمباحثات التي قام بها رجال الحكومة العثمانية من خلال مجلس الوكلاء الخاص، الذي كان يتشكل من الصدر الأعظم رئيسا وعضوية شيخ الإسلام

¹ -محمد مهدي إيلهان، "ملاحظات وآراء حول الأرشفة عثمانية وأهميته في دراسة التاريخ العثماني"، مجلة الدارة، العدد: 04، س: 15، 1410هـ/ 1990م، ص 93-98.

² -محمود عباس حمودة، مرجع سابق، ص: 15.

³ -سهيل صابان، الجوف في وثائق الأرشفة...، مرجع سابق، ص، ص: 03، 04.

ومختلف النظار (أي الوزراء)، ويوجد في أسفل كل واحدة من هذه المضابط توقيع الأعضاء الحاضرين، وقد استمرت هذه الاجتماعات حتى نهاية الدولة العثمانية¹.

5- وثائق قصر يلدز: وهي الوثائق والدفاتر المتعلقة بفترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وقد قسمت وثائق هذا التصنيف إلى الأقسام الآتية أوراق يلدز الأساس، أوراق المعروضات الرسمية إلى الصدارة، أوراق المعروضات الخاصة إلى الصدارة، أوراق المعروضات المتنوعة، أوراق فردية قسم دفاتر.

6- دفاتر الولايات: وهي الدفاتر المستقلة التي تتناول شؤون الولايات في الدولة العثمانية منذ تغيير نظام الولاية بنظام الإيالة عام 1864م، بها دفاتر تخص مناطق الجزيرة العربية².

7- غرفة أوراق البابا العالي: وثائق هذا التصنيف قسمت حسب النظام المصدري المتبع في الأرشفة، الصدارة، المجلس الأعلى، الخارجية، الداخلية، أوراق الدعاوي، وللدلالة على كمية الوثائق الموجودة في قسم الصدارة من غرفة الباب العالي فإنها تبلغ حوالي مليوني وثيقة³.

8- داخلية نظارتي قلم مخصوص مديرتي: أنشأت إدارة القلم المخصوص السكرتيرية الخاصة لتأمين الاتصالات الداخلية والخارجية السرية والخاصة لوزير الداخلية، والوثائق الموجودة في الأرشفة العثماني تحت هذا التصنيف تخص الوثائق الخاصة بإدارة القلم المخصوص، تتضمن فعاليات الدول المعادية وفعاليات القوات الوطنية والاحتلال اليوناني، كما تتضمن تعيين الموظفين وتقديم الأوسمة والنياشين للمستحقين⁴.

9- داخلية نظارتي مخابرات عمومية دائرة سي، ساسي أوراق:

الوثائق السياسية الموجودة في هذا القسم تم ترتيبها من قبل موظفي إدارة الاتصالات العامة، ووضعت في فهارس خاصة بعد ترقيمها، وقد رتبت تلك الفهارس حسب موضوعاتها وليس حسب التسلسل الزمني.

¹- محمود عباس حمودة، مرجع سابق، ص: 13.

²- سهيل صابان، الجوف في وثائق الأرشفة...، مرجع سابق، ص: 4.

³- نجاتي أقطاش، مرجع سابق، ص: 49.

⁴- محمد مهدي إيلهان، مرجع سابق، ص: 97.

10- محاسبة الحرمين: يوجد في هذا التصنيف 660 دفترًا تتناول الأمور الخاصة بحسابات الحرمين الشريفين، ويوجد في هذه الدفاتر حسابات الأوقاف والمقاطعات الخاصة بالحرمين والمرتبطة بإدارة محاسبة الحرمين، كما توجد فيها السجلات المتعلقة بالحرمين الشريفين والمقيمين فيها¹.

المطلب الرابع: الأرشيف العثماني ودوره في تدوين التاريخ:

تكمُن أهمية الأرشيف العثماني في كونه ثروة تتجاوز تاريخ تركيا إلى تاريخ العديد من الأمم والشعوب التي أصبحت الآن دولًا مستقلة، حيث يقول في هذا الصدد سهيل صابان ما يلي: "مع مرور الأيام والسنوات فإن الاهتمام بهذا الأرشيف من لدن الباحثين المتخصصين من أنحاء العالم، أصبح في ازدياد كبير، وإذا دخلت إلى الأرشيف ولا سيما في بعض شهور الصيف قد لا تجد كرسيًا تجلس عليه من كثرة عدد الباحثين القادمين من مختلف دول العالم، وعلى الرغم من عدم وجود علاقات للدولة العثمانية ببعض الدول التي ينتمي إليها بعض أولئك الباحثين إلا أنهم يتعلمون اللغة العثمانية، ويتوجهون إلى الأرشيف لإعداد أبحاث علمية من خلال الوثائق الموجودة فيه"².

ولم تتحقق الاستفادة الكاملة للبحث العربي من الأرشيف العثماني لكثير من الأسباب منها عدم إتقان اللغة التركية، وأجواء التوتر بين العرب والأتراك منذ بدايات القرن العشرين. لكن رغم ذلك هناك توجه للأرشيف العثماني بغية الاستفادة من خبرة الدولة العثمانية التي استمرت ستمائة سنة في الحكم في التعامل مع مختلف الشعوب والدول، وفي مختلف الحقب التاريخية، ناهيك عن بعض الدول التي يعد التاريخ العثماني تاريخًا مشتركًا لها ولمدة أربع مائة سنة، إذ أن استفادة مثل هذه الدول من مقتنيات الأرشيف العثماني يعد أساسيًا في توضيح جوانب عديدة من تاريخها المعاصر³.

1- الوثائق العثمانية وأهميتها في الكتابة التاريخية:

¹- سهيل صابان، الجوف في وثائق الأرشيف...، مرجع سابق، ص: 4.

²- سهيل صابان، الأرشيف العثماني في خدمة التراث العربي...، مرجع سابق، ص: 02.

³- سهيل صابان، الأرشيف العثماني في خدمة التراث العربي...، مرجع سابق، ص: 02.

الوثائق الأرشيفية مهمة للغاية فلا تاريخ بدون وثائق، والوثائق العثمانية أو الأرشيف العثماني تعتبر المادة الأولية التي يعتمد عليها المؤرخين والباحثين في دراستهم التاريخية، خاصة المتعلقة بتاريخ الدول التي كانت تحت الحكم العثماني¹.

فلقد كان تحت رايته كثير من الشعوب والأمم في معظم القارات، فهو مصدر أساسي لكتابة تاريخهم لما يحتويه من مواد ومواضيع جد زاخرة بالمعلومات التاريخية، وهو 03 عالميا بعد الفرنسي والبريطاني، ويعتبر من أكبر المراكز البحثية التي تحتوي ملايين الوثائق الهامة عبر التاريخ، وهو يحتوي أكثر من 150 مليون وثيقة، والملايين من الوثائق والمخطوطات والخرائط التي تتحدث عن تاريخ الدولة العثمانية منذ عام 1299م التي امتدت عبر قرون، وهي متنوعة النواحي مثل النواحي السياسية الاجتماعية، والتاريخية والثقافية والاقتصادية وغيرها، والكثير منها تخص عشرات البلدان ومئات المدن وملايين الشخصيات، وهو يزخر بكنوز كبيرة².

الباحثين المتخصصين من أنحاء العالم يهتمون بهذا الأرشيف، وإذا تمت زيارة الأرشيف العثماني لا سيما في فصل الصيف، لا يجد الباحث مكانا للبحث من كثرة عدد الباحثين القادمين من مختلف دول العالم، ويتعلمون اللغة العثمانية ويتوجهون للأرشيف لإعداد أبحاثهم العلمية، ويستفيدون منه لاحتوائه ثروة ضخمة في شتى الموضوعات كبحوث الإدارة والجيش والقضاء والسياسة والاقتصاد والدين، والتراجم والأعلام والأنساب والنواحي التجارية وعادات المجتمعات وتقاليدها وغير ذلك³.

ويأتيه الباحثون من دول أوروبية، واليابان وغيرها وهم متقنين للغة التركية الحديثة واللغة العثمانية القديمة، ومدعومين ماديا من قبل الجهات التي أرسلتهم ليطلعوا على تلك الوثائق⁴.

¹ - نجاتي أقطاش، مرجع سابق، ص: 07.

² - إحصان الفقيه، "الأرشيف العثماني أهميته وعلاقته بمجال البحث العربي: إضاءات عثمانية"، مقال مستقل.

³ - أحمد السلامة القيسي، لواء دير الزور في الوثائق العثمانية: مركز اللواء دير الزور، ج1، دمشق، أطلس للنشر والتوزيع، 2019، ص، ص: 14، 22.

⁴ - خالد عبد القادر الجندي، مرجع سابق، ص: 28.

والوثائق العثمانية الأرشفية تهم العديد من الأمم والشعوب من دول عربية ودول البلقان وحتى الدول العالمية التي كانت لها علاقات مع الدولة العثمانية كبريطانيا وفرنسا وروسيا والهند، وبلاد فارس والصين والمغرب وإفريقيا ودول أخرى. والخرائط العثمانية الدقيقة التاريخية جزءا بالغ القيمة في الأرشفة العثماني، ومن أثرى ما تركته الدولة العثمانية من ميراث تاريخي يرتبط بتاريخ العديد من المناطق الجغرافية التي تنتزع على 03 قارات، التي كانت خاضعة للحكم العثماني، وضم أيضا خرائط تاريخية ثلاثية الأبعاد لجزر كريت ورودرس ومدينة القدس، وحلب وشمال إفريقيا ومئات المناطق في العالم¹.

وبهذا يعد الأرشفة العثماني وما يحتويه مصدرا تاريخيا هاما، سواء في تاريخ الدولة العثمانية أو تاريخ أكثر من 36 دولة، والاهتمام الذي يوليه إياه الباحثون من مختلف أنحاء العالم دليل واضح على أهميته، ووثائقه تعتبر مادة أساسية في البحث العلمي عموما والدراسات التاريخية بصفة خاصة، فهي كنز حضاري وموروث ثقافي وعلمي لجميع الدول، وهي شاهدة على ما كانت عليه الإدارة والسلطة وحالة المجتمع ونوعية الاقتصاد وغير ذلك، لهذا لا يجب على أي باحث تاريخي الاستغناء عنها، لكي يجد الإجابة على العديد من الإشكاليات الغامضة حول طبيعة الحياة التي تميزت بها الدولة في تلك الفترة في جميع الأصعدة والجوانب، وبهذا يتمكن الباحث أن يغني دراساته بالمعلومات التاريخية لتكون كتاباته كتابة تاريخية منهجية وعلمية².

ونظرا لأهمية هذه الوثائق اهتمت بها الدولة العثمانية، لأنها تغطي فترة زمنية طويلة وبها منجما غنيا بالكنوز الخفية وثروة من المعلومات التي لا تقدر بثمن، حيث قامت السلطات التركية بإنشاء تخصص في الجامعات يعنى بترجمة الوثائق من العثمانية إلى التركية الحديثة.

وذلك لفهم ما هو مدفون في ثنايا الأرشفة العثماني، الذي يصحح لنا العديد من المفاهيم المغلوطة، فإذا عدنا للأصول صحح الكثير منها خاصة فيما يتعلق بتاريخ العلاقات

¹ - فوزية محنوف، "أهمية وثائق الأرشفة العثماني في الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد: الثاني، العدد: 02، ديسمبر 2016، ص: 61.

² - سهيل صابان، "الأرشفة العثماني مصدرا من مصادر تاريخ الجزيرة العربية"، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، العدد: 01، المجلد: 03، أكتوبر 1997م، ص: 54، 76.

العربية العثمانية، فلقد تم الترويج لفكرة أن ما أصاب الدول العربية من جهل وتخلف سببه الأساسي الدولة العثمانية على أساس أن العهد العثماني كان مظلمًا ومتخلفًا، وأن الدولة العثمانية لم تتجلب لا شاعرا ولا فنانا، وبهذا يتبين لنا أن الدولة العثمانية من أكثر الدول في التاريخ الحديث التي تتعرض للتشويه والتزوير والتحريف، وهذا ليس بأقلام الأوروبيين فقط بل حتى بأقلام عربية وحتى تركية، لهذا تبادر إلى ذهن العديد خاصة الطلاب صورة مرعبة عن العثمانيين، ولهذا أيضا يجب العودة إلى الأرشيف العثماني لأنه يظهر لنا الكثير، فلا يمكن كتابة تاريخ أي دولة من دون وثائقها، والوثائق هي الأساس لصناعة التاريخ ومعرفة الحقيقة فهي مواد أولية يعتمد عليها الباحثين¹.

2- الأرشيف العثماني والدول العربية:

يعتبر الأرشيف العثماني موردا حيويا للبحوث العربية سواء التي تتعلق بالدول العربية أو بالدول التي ارتبطت بها، ويشهد ذلك توجه الكثير من الباحثين العرب إليه للاستفادة من وثائقه، لكن دراساتهم ما زالت قليلة لأسباب منها توتر العلاقات العربية التركية، وبهذا غلب الارتكاز على وثائق الأرشيف المحلي التي تحمل مواضيع البلدان العربية في فترة الحكم العثماني، حيث يعتمد الباحثين كثيرا على الأرشيف المحلي دون الرجوع إلى الأرشيف العثماني في الدولة التركية التي تحتوي على وثائق نادرة تؤرخ للبلاد العربية، التي كانت خاضعة للدولة العثمانية، بالإضافة لعدم إتقانهم اللغة التركية².

لكن في العقود الأخيرة حدث تقارب تركي عربي، فقامت السلطات التركية بإجراءات تسهل عملية الاطلاع على الأرشيف العثماني، مما فتح آفاق جديدة أمام المؤرخين والباحثين العرب لتطوير الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني، فالوثائق الموجودة بالأرشيف التركي لها قيمة تاريخية وعلمية كبيرة والباحث العربي أصبح يدرك مدى حاجته للاطلاع على تلك الوثائق ودراستها³.

لهذا أصبح الباحثين العرب يتوجهون إليه للاستفادة من وثائقه، فهو يملك ملايين الوثائق المتعلقة بالجزيرة العربية وبلاد المغرب العربي وتاريخها، فضلا عن العراق والشام

¹- خالد عبد القادر الجندي، مرجع سابق، ص، ص: 30، 31.

²- فوزية محنوف، مرجع سابق، ص، ص: 76، 77.

³- زينب الطحان، مرجع سابق، ص: 02.

ومصر واليمن والحجاز وغيرها من الدول العربية، وذلك يعود لحكم السلطنة العثمانية البلاد العربية لقرون، كما يملك خرائطاً تاريخية لمدن عربية كمدينة القدس وحلب وغيرها¹.

ومن الملاحظ أيضاً بالنسبة للباحثين العرب الذين يتجهون للأرشيف العثماني بنسبة قليلة أغلبهم يذهبون إليه على نفقتهم الخاصة، ولا يجيدون اللغة العثمانية ولا التركية الحديثة والترجمة تكلفتها باهظة². بحيث أنها دونت وكتبت آلاف الوثائق والمخطوطات والفرمانات والقرارات، التي كانت تصدر من الجهات الإدارية بدءاً بالسلطان ومختلف الجهات المتعلقة بالدول العربية، وبالتالي الأرشيف العثماني خزان الوثائق التاريخية العربية³.

فعلى سبيل المثال إن أقدم وثيقة في الأرشيف العثماني تتعلق بالجزيرة العربية تعود لعام 1084 هجرية، وهي عبارة عن خطاب باللغة العربية يتناول الحبوب والحنطة المرسلة إلى أهالي الحرمين الشريفين، وهذا يبرر أهمية الأرشيف العثماني لهذه الدول العربية لكن الدراسات العربية لم تحقق الاستفادة الكاملة من الأرشيف لعدة أسباب لهذا راح الكثير من الباحثين يستمدون معلوماتهم من المراجع الغربية التي لم تتصف الدولة العثمانية⁴.

وفلسطين الأرض التي يخوض سكانها صراعاً على الوجود، يحتوي الأرشيف العثماني وثائق ضخمة تكشف عن ملكيات الأراضي والمزارع وغير ذلك، التي تشير على أنها ملك للفلسطينيين، وتتسلف الادعاءات الأوروبية واليهودية على أن فلسطين كانت خالية من السكان، وقد سلمت الحكومة التركية الفلسطينيين نسخة إلكترونية خاصة بسجلات الطابو "ملكية الأرض".

وبهذا يعتبر الأرشيف العثماني طوق نجاة بإثبات ملكيات الأراضي والعقارات، وهذا يبرر الأهمية الكبيرة له بالنسبة لفلسطين أو الدول الأخرى كسلاح لمواجهة العدو، ومن هنا يتبين لنا غنى الأرشيف العثماني بالوثائق الخاصة بالدول العربية التي يجب دراستها واكتشافها، فهي تبرر الحقبة الزمنية التي كان العرب فيها جزءاً من الإمبراطورية العثمانية⁵.

¹ -محمد مهدي إيلهان، ملاحظات وآراء حول الأرشيف...، مرجع سابق، ص: 90.

² -خالد عبد القادر الجندي، مرجع السابق، ص: 28.

³ -مروان الأقرع، مرجع سابق، ص: 02.

⁴ -فوزية محنوف، مرجع سابق، ص، ص: 76، 77.

⁵ -قيس أبو سمرة، "الأرشيف العثماني سلاح الفلسطينيين لمواجهة الاستيطان الإسرائيلي"، مقال مستقل، رام الله فلسطين بتاريخ: 30 جانفي 2020، ص: 02.

3- صعوبات التعامل مع الأرشيف العثماني:

على الرغم من الأهمية البالغة للوثائق العثمانية الموجودة في أرشيفات الدولة التركية، إلا أن هناك بعض المشكلات والصعوبات التي تواجه الباحث، والمتمثل في كيفية الاستفادة والتعامل مع هذه الوثائق الأرشيفية، وكيفية توظيفها في الدراسات التاريخية. فهذه الصعوبات تقف عائقاً أمام إمكانية وصول الباحث إلى الوثائق العثمانية، وحتى إن تمكن من الوصول إليها يصطدم بالعديد من الحواجز والعراقيل التي تجعل من البحث أمراً في غاية الصعوبة، منها ما يتعلق بالجانب العلمي الذي يتمثل في مشكلة اللغة منها ما هو تقني إداري إضافة إلى الجانب المادي.¹

3-1- مشكلة اللغة:

تعتبر اللغة المشكل الأساسي والرئيسي ومن بين أهم المشاكل التي تواجه الباحث في دراسته للوثائق العثمانية، سواء ما تعلق منها باللغة التركية الحديثة التي نظمت بها تلك الوثائق، أو باللغة العثمانية لغة الوثائق نفسها. ومنه فعلى الباحث الإلمام باللغتين التركية والعثمانية معا

فاللغة التركية الحديثة تعتبر من العوامل المساعدة للدراسات التاريخية في العهد العثماني، فعدم إجادته وإتقان الباحث لهذه اللغة يشكل صعوبة كبيرة في تعامله مع الأرشيف العثماني، نظراً لكون فهارس الأرشيفات الموجودة في تركيا قد كتبت ونظمت باللغة التركية الحديثة لا اللغة العثمانية القديمة رغم كونها لغة الوثائق، كما أنه تدريس هذه اللغة الحديثة لا يزال في طور التكوين في البلدان العربية والجامعات التي تدرس هذه اللغة تكاد محدودة.² أما اللغة العثمانية فكانت لغة الدولة في عهد الخلافة العثمانية، وتعتبر اللغة التي كتبت بها الوثائق الموجودة في أرشيفات الدولة التركية، وقد كتبت بخط اليد وبأحرف عربية، وهي مزيج من عدة لغات تجمع كما هائلاً من المفردات التركية العربية والفارسية.³

3-2- الصعوبات الإدارية:¹- فوزية محنوف، مرجع سابق، ص: 13.²- مرجع نفسه، ص: 15.³- فوزية محنوف، مرجع سابق، ص: 13.

لم تهتم الدولة التركية الحديثة كثيرا بالأرشفة العثماني نظرا لكون الاتجاه العلماني التركي كان مسيطرا على توجهات الدولة منذ ثورة كمال أتاتورك، وظهر دولة تركيا الحديثة على أنقاض الخلافة العثمانية، وقد حمل هذا الاتجاه فكر التنكر للخلافة العثمانية الإسلامية والتاريخ العثماني، مما أدى إلى اللامبالاة بالوثائق العثمانية والتحفظ عليها وعدم الاهتمام بها، أو حتى تسهيل الاطلاع عليها للمؤرخين والباحثين الأجانب بما فيهم العرب، نظرا لحاجتهم لهذه الوثائق التي تمثل جزءا من دراسة تاريخ بلدانهم، فقد وجدت في الفترات القريبة نوع من الإجراءات الإدارية زادت من صعوبات البحث في الاطلاع على الوثائق العثمانية، نذكر منها: البيروقراطية الإدارية والمتمثلة في إجراءات الحصول على ترخيص يخول للباحثين دخول الأرشفة العثماني لتصفح الوثائق الموجودة به.

بالإضافة إلى تحديد عدد الوثائق المسموح بها لكل باحث، فقد شكلت البيروقراطية الإدارية عائقا كبيرا أمام الباحثين، لذلك نجد أن الكثير منهم عذف عن دراسة الوثائق العثمانية، حيث لا توجد في سجلات الفهارس سوى ملخص وجيز يتحدث عن موضوع واحد رغم أن بعض الوثائق تحتوي على عدة مواضيع¹.

3-3- الصعوبات المادية:

نظرا للمشاكل السابقة الذكر من الصعوبات اللغوية والعراقيل الإدارية والتقنية، كان لا بد للباحث المكوث لمدة طويلة في تركيا حتى يتمكن من الحصول على معظم الوثائق التي يحتاجها لإنجاز أبحاثه، ويتطلب هذا مصاريف كبيرة وهو أمر غير متاح لكل الباحثين نظرا للتكاليف المادية والظروف المعيشية للباحث، ناهيك عن الظروف الوظيفية التي لا تسمح للباحث بالإقامة المطولة في تركيا.²

خاتمة:

من خلال هاته المحاضرة نستنتج ما يلي:

-إن دراسة التاريخ العثماني بحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات التي تعتمد على الوثائق الأرشفية العثمانية.

¹-مرجع نفسه، ص: 14.

²- فوزية محنوف، مرجع سابق، ص: 15.

-يعتبر الأرشيف العثماني مصدر من مصادر التاريخ، فهو ثاني أرشيف في العالم من حيث كمية الوثائق التي يحويها.

-لا يقتصر الأرشيف العثماني على الوثائق الخاصة فقط بنشأة الدولة العثمانية وتطورها، بل يحوي وثائق خاصة بمجموعة من الدول العربية التي كانت تحت رايته.

-إن الأهمية التي يحظى بها الأرشيف العثماني تتجاوز كونها ثروة يعتمد عليها تاريخ تركيا وحدها، فهو أرشيف يشارك في كتابة تاريخ العديد من الأمم والشعوب.

المحاضرة رقم: 02: نصوص وثائقية نموذجية من الأرشيف العثماني بالجزائر:

المبحث الأول: ماهية الأرشيف العثماني الجزائري:

هي الوثائق الأرشيفية المتعلقة بالمرحلة العثمانية في تاريخ الجزائر منذ زمن خير الدين بربروس إلى غاية الاحتلال الفرنسي (1518-1830م)، هذه الفترة الممتدة على ثلاث قرون مكنت الجزائر من اكتساب ثروة وثائقية تمثل الذاكرة الرسمية لتاريخ الجزائر خلال تلك السنوات، وتشكل أيضا الموروث الثقافي والتراث الوطني للبلاد. وقد تكونت الوثائق العثمانية بالجزائر نتيجة سجلات مستمرة للأوامر والتعليمات والقرارات والملاحظات التي أصدرها حكام الإيالة وموظفو البايك، والتي كانت ترد عليهم من سلاطين الباب العالي وموظفيه، وكان هناك جزء من هذه الوثائق يتعلق بأنشطة وكلاء الإيالة في الخارج أو قناصل وتجار الدول الأوروبية المقيمين بالجزائر، وتتميز الوثائق العثمانية المتعلقة بالجزائر سواء منها الموجودة حاليا بالجزائر، أو المحفوظة باستانبول أو المودعة بالأرشيات الأوروبية بأهميتها الخاصة كمصدر رئيسي لتاريخ الجزائر العثمانية، وتتضمن الموضوعات التي تناولتها الوثائق العثمانية مجالات متعددة بدءا من الحياة السياسية والإدارية والشرعية وصولا إلى جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية للجزائر العثمانية¹.

المبحث الثاني: المواد والمواضيع والنصوص التي تحتويها الوثائق:

من بين المواضيع والنصوص التي تحتويها الوثائق العثمانية نذكر:

¹-ناصر الدين سعدوني، وثائق جزائرية: دراسات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2000، ص: 51، 52.

-مقدار الدخل ونظم جباية الضرائب: وهي وثائق تتعلق بضرائب العشر والزكاة وجزية اليهود، ورسوم الحكوم المفروضة على أراضي البايك، وهدايا الدول الأجنبية، رسوم الجمارك والأسواق.

-الأمور الإدارية والعسكرية: والتي تهم مختلف الوظائف والرتب وإجراءات التولية والعزل والتعريض، ووضعيته فرق الجيش المختلفة.

-العمة والخزينة: وما يتعلق بها من ضرب النقود، ونسبة المعادن المستعملة في العملية.

-الزراعة والصناعة: وهي التي تتعلق بالإنتاج الزراعي، وأنواع المصنوعات وباقي المهن والبضائع المختلفة.

حالة السكان: تتعلق هذه الوثائق بالطوائف السكانية، ومختلف تشكيلاتهم من الأجناس، تساعد هذه الوثائق في التعرف على طوائف السكان في المدن والقرى بمختلف طبقاتهم.

المبحث الثالث: الوثائق العثمانية الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي:

1- عشية الاحتلال: تعرضت الوثائق العثمانية الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي في العقود الأولى إلى الإتلاف والضياع، ذلك جراء الفوضى التي صاحبت دخول الجيش الفرنسي مدينة الجزائر، كما أنها تعرضت إلى الإهمال المتعمد طرف الموظفين الفرنسيين للإدارة بالجزائر، وقد تسبب هذا في اختفاء ضياع الكثير من الوثائق، ولم يقتصر أمر ضياع الوثائق الرسمية على مدينة الجزائر فقط، بل شمل كل المدن والمناطق التي وصلها الجيش الفرنسي مثل: تلمسان قسنطينة إلخ¹.

ومن الأمور التي ساهمت في اتلاف واختفاء بعض الوثائق، هو أن فرنسا لم تتخذ أي إجراء لتسوية مختلف الخدمات المدنية، ولم تعط أي أمر للموظفين الجزائريين في المصالح الإدارية، كما لم يتم إعلامهم ببقائهم في وظائفهم أو عزلهم منها، هذا ما ساهم في تخليهم

¹-ناصر الدين سعيدي، مرجع سابق، ص: 43.

عن مناصبهم ووظائفهم طوعية، دون أن يقوموا بتسليم الوثائق التي كانت بحوزتهم ومتلفين قسما ونصيبا هاما من هذه الوثائق¹.

وهناك عوامل أخرى ساهمت في إتلاف وإخفاء الكم الهائل من الوثائق، كان نتيجة التعرضات الوحشية التي قام بها الجنود الفرنسيين عشية دخولهم العاصمة في 5 جويلية 1830م، حيث تعرضت فيها الوثائق للحرق والسرققة والنهب، ناهيك عن تصرف بعض الموظفين الإداريين التي عينتهم الإدارة الفرنسية، والتي أوكلت لهم مهمة المحافظة على ما بقي من الأوراق الرسمية للإيالة الجزائرية، مثل: الموظف "جير دان" مدير إدارة الدومين، والموظف "ألبير دوفو" محافظ الأرشيف العربي بمصلحة الدومين².

2- الاهتمام الفرنسي بالوثائق:

ظهر نوع من الاهتمام الفرنسي بالوثائق الأرشيفية التي اعتمدت عليها لإخماد الثورات والاستيلاء على الممتلكات والأموال، واستمرت فرنسا بجمعها حتى السبعينات من القرن التاسع عشر، كان الهدف منها التعرف على الممتلكات وقضايا الأراضي الخصبة القريبة من المدن، من أجل الاستحواذ عليها وتوزيعها على المعمرين، كلف "جير دان" أحد الموظفين الإداريين ومدير الدومين، بإجراء أبحاث حول الوثائق الهائلة التي يمكن أن تساعد الإدارة الفرنسية على إدارة شؤون البلاد³.

هذا وقد أعلنت الإدارة الفرنسية الموجودة بالجزائر قراراتين:

أ- في 7 ديسمبر 1830م.

ب- في 23 ماي 1834م.

يقضيان بالحفاظ على أملاك المساجد، الزوايا ، وكل الأمكنة الدينية من طرف الوكلاء، ولكن هذين المرسومين لم يتم العمل بهما فبقيا حبرا على ورق⁴، على غرار مرسوم يقضي بالاهتمام بالوثائق.

¹- نفسه، ص، ص: 46، 47.

²- عبد الجليل التميمي، نصوص ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر وتونس وليبيا) (1816-1871م)، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص: 14.

³- فاطمة الزهراء صاري، فتحة بخاري، الوقف في الجزائر، دراسة لعينة من الوقف في عقود الوقف لرصد المحاكم الشرعية، يخص الفترة العثمانية (1551-1815م)، الأرشيف الوطني الجزائري، الجزائر ، 2012، ص: 03.

⁴- عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص: 15.

ورغم كل هذا الاهتمام فإنه لم يكن مجدياً بل حدث العكس، حيث أتلقت و اختفت الكثير من الوثائق وضاعت بين الجنود الذين كانوا مهتمين ومعجبين بالخط العربي التركي وكذا الأختام، حيث كانوا يقتنونها لجمالها مما ساهم في ضياعها، ولم يقف الأمر إلى هذا الحد بل إن العديد من الوثائق عرفت طريقها إلى المكتبات المختصة في بيع التحف¹.

وقبل خروجها من الجزائر قامت فرنسا بين سنتي 1961-1962م بترحيل كتلة ضخمة من الأرشيف الجزائري، الذي له أهمية ومنفعة تاريخية تشمل كل الميادين، وقد رحلت ما يقدر بحوالي 200 ألف علبة بشكل عام، و1500 علبة تتعلق بالفترة العثمانية وأودعتها في أماكن عديدة في فرنسا مثل: وزارة الحرب وقصر فانسان واكس أن بروفانس².

المبحث الرابع: المحاولات التنظيمية للوثائق العثمانية في الجزائر:

كانت هناك محاولات تنظيمية للوثائق العثمانية من طرف بعض الباحثين و المختصين في الأرشيف الذين بذلوا عدة محاولات منذ أواسط القرن التاسع عشر، بالنسبة للفرنسيين ومطلع الاستقلال بالنسبة للمحاولات الجزائرية، ومن بين هذه المحاولات نذكر:

1- المحاولات الفرنسية: كانت هناك محاولات فرنسية نذكر منها:

* محاولة ألبير دوفو (A.DEVOULX):

محافظ الوثائق بإدارة الدومين، تعلم اللغة العربية وأجادها بمعهد باب عزون، قام بوضع فهرسة للوثائق العثمانية عام 1850م، يتعلق الأمر ب: 508 ملف وصنفها في مجموعتين: "سجل البابليك" و"سجل بيت المال"، وكان يقوم بمساعدة جزائريان في ترجمة الكثير من الوثائق التركية وهما: "محمد بن مصطفى" و"السي محمد عثمان بن خوجة"³.

قام "دوفو" بالإشراف على الدفاتر والوثائق التي وضعت تحت إشراف الإدارة الفرنسية فنقلها من مصلحة الدومين إلى مكتبة الدولة العامة، وعمل على ترجمة الدفاتر والوثائق، وكان حريصاً على اقتناء كل ما يمد لتاريخ الجزائر بصلة، وتمكن من جمع الآلاف من الوثائق ومرت عليه حوالي مائتي ألف وثيقة، وهناك أعمال كثيرة ل: "دوفو" مازالت تشكل

¹-ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص: 42.

²-فاطمة الزهراء صاري، فتحة بخاري، مرجع سابق، ص: 03.

³-ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص: 53.

المصدر الأساسي للكثير من الباحثين، وهي عبارة عن سجلات ووثائق ترجمها إلى الفرنسية منها: سجل التشريفات¹، سجل الغنائم البحرية، ووثيقة عهد الأمان، بالإضافة إلى أعماله حول الرئيس حميدو.... إلخ.

***محاولات جون دوني 1921م:** هذه المحاولة كانت نتيجة دراسة الوثائق التي كلف

بها من طرف وزير المعارف الفرنسي، وقسم جون دوني هذه الوثائق إلى ثلاث أجزاء:

الجزء 1: يشمل دفاتر تهم الجزائر العاصمة وضواحيها، ويحتوي على 496 دفتر.

الجزء 2: يحتوي على بعض الكتب العربية والتركية للقرآن الكريم والشعر، ومرقم من

1 إلى 21.

الجزء 3: يضم هذا الجزء تسع حزم من رسائل وقصاصات².

***محاولة إسكير:** حيث نظم الوثائق العثمانية بعد محاولة دوني، ولقد اختلف كل من

عبد الجليل التميمي وناصر الدين سعيدوني في ذكر المرحلة التاريخية له، إلا أنهما يؤكدان على أن "إسكير" عمل على تكملة ما عمله "ألبير دوفو" في تنظيم الوثائق، حيث أفرد لها قسما خاصا أطلق عليها مجموعة (Z) نفس عمل "دوفو"³.

***محاولة فيرو:** تقتصر هذه المحاولة على الفهرس الذي وضعه لأرشفيات واحتكارات

التجارة في الشرق الجزائري، الذي كانت تقوم به الشركة الفرنسية لصيد المرجان من القرن السادس عشر، هذه الأرشفيات تتوزع على ستة صناديق وتضم 2302 وثيقة.

***محاولة مارسيل كولومب:** اهتم بالدفاتر التي تخص الانكشاريين، خاصة في العقدين

1809م-1829م من العهد العثماني ووضع لها فهرسا⁴.

2- المحاولات الجزائرية: كانت هناك محاولات صادقة لتنظيم الوثائق الأرشفية

المتعلقة بالفترة العثمانية، هذا بعد المحاولات الفرنسية، وكانت جل هذه المحاولات بعد الاستقلال نذكر منها:

¹- عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص، ص: 16، 19.

²- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص: 101.

³- فاطمة الزهراء صاري، فتحة بخاري، مرجع سابق، ص: 03.

⁴- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص: 44.

* **عبد الجليل التميمي:** كانت محاولة عبد الجليل التميمي¹ نتيجة علمية جاهدة وصادقة، وتجارب سابقة أبرزها في شكل عمل منهجي متكامل، يستند إلى مقدمة وافية يعتمد على مقارنة الأرشيفات في كل من الجزائر وفرنسا، وتوجه بكتاب موسوم ب: "موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر"، قسم التميمي الكتاب إلى خمسة أقسام وهي كالتالي:

القسم 01: يشمل الدفتر من 1 - 64 بالمركز الوطني للوثائق.

القسم 02: من 1 - 368 بالمركز الوطني للوثائق.

القسم 03: يتضمن 28 دفتر بالمديرية الجزائرية.

القسم 04: يتضمن حوالي 60 دفتر بالمديرية الجزائرية.

القسم 05: يتضمن حوالي 36 دفتر بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة.

وقد شرح التميمي في كتابه هذا مختلف مواد هذه الوثائق وصنفها تصنيفا دقيقا².

* **أحمد توفيق المدني:** تعتبر محاولة الشيخ أحمد توفيق المدني³ هي الأولى في تاريخ الأرشيف العثماني الجزائري، كون عبد الجليل التميمي تونسي، وقد كلف بها الشيخ من طرف المركز الوطني للدراسات التاريخية، قام فيها بتصوير ما يزيد عن 4000 وثيقة في سنة 1979م بأرشيفات اسطنبول تتعلق بتاريخ الجزائر، وهي عبارة عن مراسلات بين الباب العالي والإيالة الجزائرية ساعده في تعريب هذه الوثائق الشيخ "فكري طونا"⁴.

بالإضافة إلى هذه المحاولات هناك عدة محاولات أخرى جزائرية صادقة من باحثين جزائريين مختصين من بينهم: ناصر الدين سعيدوني، عائشة غطاس، فاطمة قشي، السيد

¹- عبد الجليل التميمي: هو مؤرخ تونسي من مواليد 1938 بالقيروان الجمهورية التونسية، لديه عدة شهادات من بينها دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة إكس بروفانس بفرنسا. عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص: 37.

²- ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص: 56.

³- أحمد توفيق المدني: هو عالم من العلماء المسلمين الجزائريين ومؤرخ، ويعتبر رائد من رواد المدرسة التاريخية، ولد سنة 1899م، تقلد عدة مناصب خاصة بعد استقلال الجزائر، منها وزير الثقافة توفي سنة 1983م، أنظر: عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني: النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية، دار المخابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 87.

⁴- فاطمة الزهراء صاري، فتحة بخاري، مرجع سابق، ص: 07.

شهاب الدين يلس، الذي أنجز فهرسا خاصا بالرصيد العثماني وهما فهرسان: الأول فهرس تحليلي لسلسلة بيت المال والبايلك، والثاني فهرس تحليلي للمحاكم الشرعية¹.

المبحث الخامس: مراكز تواجد الأرشيف العثماني الجزائري:

المطلب الأول: في الداخل:

يتوزع الأرشيف العثماني في الدولة الجزائرية في مراكز عديدة، وهي التي حافظت على الوثائق، إذ تشكل للباحث مصدر أساسي لا بد من الرجوع إليها، ومن بين هذه المراكز نذكر:

1- مركز الأرشيف الوطني الجزائري:

لقد لعبت الدولة الجزائرية دورا أساسيا في بذل الجهود للحفاظ على الثروة الوطنية والتي هي الأرشيف، وبهذا وضعت الدولة مرسوما رئاسيا سنة 1971م يحث على صيانة التراث الإداري والتاريخي والثقافي، وقد تدعم هذا بإنشاء المركز الوطني للدراسات التاريخية، وإحداث مؤسسة الوثائق، وقد تسلمت الجزائر من نظيرتها الفرنسية أرشيف الفترة العثمانية على ثلاثة مراحل هي كالتالي:

المرحلة الأولى: في سنة 1968م تسلمت المديرية الوطنية للوثائق الجزائرية الدفعة الأولى، تتضمن سجلات البايلك 386 سجل، موزع على 36 علبة.

المرحلة الثانية: في سنة 1974م استرجعت سلسلة من المحاكم الشرعية، فيها 14318 وثيقة موزعة على 153 علبة².

المرحلة الثالثة: في 1981م حيث تعتبر هذه الدفعة الثالثة تكملة للدفعة الأولى من سلسلة بيت المال والبايلك، فيها 133 سجل موزع على 15 علبة، أما بالنسبة على ما يحتويه المركز من الوثائق المتعلقة بالفترة العثمانية فهي كالتالي:

¹- أحمد توفيق المدني، "من الوثائق الجزائرية باسطنبول"، المجلة التاريخية، العدد: 09، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980، ص: 72، 73. للمزيد عن هذا الموضوع ينظر: شهاب الدين يلس، الوثائق الوطنية: الفهرس التحليلي للوثائق الوطنية التاريخية الجزائرية للرصيد العثماني 1648-1862م، المديرية المركزية للوثائق الوطنية، 1980، ص: 250.

²- خليصة خرفي، "المراحل التاريخية للأرشيف في الجزائر من العهد العثماني إلى ما بعد الاستقلال"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 10، العدد: 02، ديسمبر 2019، ص: 51-66، ص: 64، 63.

أ- عقود المحاكم الشرعية:

والتي يقصد بها الوثائق المستخرجة من المحاكم الشرعية بإقليم الجزائر، والتي يرمز لها بسلسلة "Z"، وتتضمن في الغالب المسائل القضائية تم البحث فيها تتعلق بشؤون الأفراد من ملكيات وتصرفات وهبات ومنازعات وصلاح، كما تشمل كذلك على بعض المسائل المتعلقة بشؤون الدولة من المشاريع العامة والتعويضات وغيرها¹.

كما يمكن لهذه الوثائق أن تعالج مسائل إثبات النسب، بالإضافة إلى سجلات لعقود الزواج والطلاق وتحديد الإرث، ويعود القسم الكبير منها إلى القرن 18 ونصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد، وإن كانت بعض العقود تعود إلى عام 1592م، ومنها ما يرجع إلى سنة 1855م، ومن مميزات هذه السجلات أنها لا تحمل أية علامة ظاهرة للحكم العثماني، ولا أثر للحاكم ولا الأتراك كحكام، لأنها لا تحمل سوى ختم القاضي².

ب- سجلات بيت المال ودفاتر البايلك:

نشأت كدواوين إدارية عامة تسجل فيها مختلف المسائل الإدارية والمالية المتعلقة بالأموال والأموال العامة، إذ أن الإدارة العثمانية كانت تخصص سجلا لكل سنة تدون فيها المداخل والمصاريف والأوقاف في سجلات البايلك التي يبلغ عددها 386 سجلا. أما التجارة الداخلية والخارجية وأموال المفقودين والتركات التي ليس لها إرث وغير ذلك من مصادر الأموال، فلقد كانت تسجل في سجلات بيت المال التي يبلغ عددها 11 علبة وتضم 64 دفترا، إذ تتضمن هذه الأخيرة معلومات دقيقة حول الأملاك الموقوفة وعوائد المؤسسات الخيرية المشرفة عليها، وأقدمها يعود إلى سنة 1699م³.

ج- خط همايون:

وهي دفاتر خاصة بقلم الديوان تضم قيود الفرمانات والأحكام الصادرة عن الديوان الهمايوني فيما يتعلق بتبني أمور الدولة، ويطلق على هذه الدفاتر أيضا اسم "دفاتر الأمور

¹-مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، 956هـ - 1549م/ 1246هـ - 1830م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2000، ص: 18.

²-مبارك شودار، الحملات الأوربية على الإيالة الجزائرية وانعكاسها فيما بين 1671-1830م في الأرشيف الوطني الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2020، ص، ص: 43، 44.

³-مصطفى أحمد بن حموش، مرجع السابق، ص: 19.

المهمة"، ويوجد منها الآن في أرشيف رئاسة الوزراء العثماني 163 دفتر تعود إلى سنوات 1533-1905م، وتتضمن هذه الدفاتر مراسلات من مختلف الأنواع موجهة من السلطان إلى الولاة وحكام الألوية والسناجق والقضاة وغيرهم، وكثيرا منها ما كان يصدر في شكل فرمانات وأوامر سلطانية ردا على عرائض ومراسلات وشكاوى موجهة إلى السلطان. وهذه أيضا محفوظة في الدفاتر المهمة، إن هذه الدفاتر ووثائق الخط الهمايوني متوفرة في مركز الأرشيف الوطني الجزائري، وهي مصدر مهم لإجابتها على العديد من الإشكالات المطروحة على الساحة الفكرية والتاريخية الجزائرية¹.

د- الضغوطات التي يواجهها الباحث خلال بحثه في الأرشيف الوطني الجزائري:

من بينها:

صعوبة تفريغ المعلومات المأخوذة من الأرشيف وترتيبها خلال فترة زمنية محددة، بحيث بعض الحقب الزمنية غير موجودة، غير أنه يجب على الباحث في هذه الحالة الاعتماد على مجموعة كبيرة من الوثائق تتضمن الوصول إلى أحكام صحيحة، بالإضافة إلى عدم وضوح الوثيقة ورداءة الخط في كثير من الأحيان، بحيث في بعض المرات لا يستطيع الباحث فك مدلولها وكأنها لم تكتب باللغة العربية. كما لا ننسى أن هذه الوثائق تحوي مصطلحات ذلك العصر، فلكي لا يقع الباحث في مغالطات وجب عليه البحث عن مدلول تلك المصطلحات في عصرها، ناهيك كذلك عن عدم احتواء الفهارس على المعلومات الكاملة لكل وثيقة، ومنها يصعب على الباحث التعرف على محتوى الوثيقة دون الاطلاع عليها².

2- المكتبة الوطنية الجزائرية:

هي أقدم مؤسسة ثقافية في الجزائر تأسست سنة 1835م، ويعود الفضل في ذلك إلى "جانتي دي بوسي" في عهده الثاني، وإلى كاتبه الخاص "بير بروجر"، والذي كان محافظ للمكتبة منذ انشائها إلى وفاته سنة 1869م³، وأصبحت تضم مجموعات من الوثائق

¹-حبيبة عليلش، "الأرشيف الوطني الجزائري: مصدر فريد لدراسة تاريخ الجزائر إبان الفترة العثمانية"، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد: 06، جانفي 2018، ص 39-73، ص: 52.

²- مرجع نفسه، ص، ص 64، 65.

³-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص: 340.

والمخطوطات والكتب منذ أن فتحت أبوابها للقراء سنة 1838م بمقرها الأول بدار الحاج عمر صهر الداوي حسين باشا¹.

وقد مرت المكتبة بعدة مراحل منذ تأسيسها إلى أن أصبحت على الشكل الحالي، بحيث تقع حاليا في الجزائر العاصمة، وتتوفر على مجموعات متنوعة من الوثائق الأرشيفية تهم تاريخ البلاد الجزائرية². ومن بين هذه المجموعات تلك التي تعود إلى الفترة العثمانية، وهي منتظمة في مجموعات بدءا من المجموعة رقم 1641، وتحتوي كل واحدة منها على عدد من الوثائق، والجدول التالي يوضح أكثر:

رقم المجموعة	محتواها
1641	وهي عبارة عن 130 وثيقة بعضها أصلية وأغلبها منقولة عن أصول مفقودة، وهي عبارة عن رسائل أغلبها من بايات الشرق في قسنطينة وبعض شيوخ القبائل إلى وكيل الباستيون الفرنسي، وبها مراسلات من باشوات الجزائر لقائد حاميته (أي آغا النوبة) بمدينة عنابة.
1642	وهي 30 رسالة موجهة من محمد وأحمد باي بقسنطينة إلى حسن باشا بالجزائر.
1903	وهي 74 وثيقة أغلبها رسائل موجهة إلى وكيل الخرج المكلف بشؤون البحرية في مدينة الجزائر.

¹ -ناصر الدين سعيديوني، مرجع سابق، ص: 93.

² -بوكوش إيمان، قداش رندة، دور المكتبة الوطنية الجزائرية في تنمية التراث الثقافي: مصلحة المخطوطات نموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماستر في علم المكتبات، قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2020، ص: 74.

2316	وفيها 62 وثيقة عبارة عن وثائق قضائية من محاكم خارج مدينة الجزائر في شأن الملكيات وما يتعلق بها من معاملات وإجراءات.
3190	وهي 480 وثيقة أغلبها مراسلات موجهة لحكام الجزائر.
3203	تضم 60 وثيقة عبارة عن وثائق قضائية تتعلق بإثبات الملكيات.
3204	وهي 79 رسالة موجهة لباشوات الجزائر من الباب العالي ووكلائهم في المدن العثمانية.
3205	وهي 332 وثيقة منها مراسلات وصلت إلى حكام الجزائر، وأحكام قضائية موزعة على ثلاث ملفات مستقلة.
3206	هي في مجملها مراسلات موجهة من مختلف الجهات إلى حكام الجزائر ومساعدتهم (موظفي الديوان).
3207	تحتوي على الترجمة الفرنسية لعدد كبير من الوثائق التركية، وتتشكل من 3 ملفات وهي مرقمة كالاتي: من 1 إلى 300، والثاني من 11 إلى 22، والثالث به وثائق من غير ترقيم ¹ .

¹ -تم إعداد هذا الجدول استنادا إلى كتاب: خليفة حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار نوميديا، قسنطينة، الجزائر، 2012، ص: 14.

وفيما يتعلق بأهمية وثائق هذه المجموعات كلها، أنها توضح لنا جوانب كثيرة من تاريخ الجزائر العثماني، إذ نجد فرمانات تعيين ولاية الجزائر وتأكيد الولاية لهم من الباب العالي، وفرمانات أخرى تحتوي على أوامر موجهة إلى الولاية من طرف السلطان أو أحد وزرائه، وتتحدث الوثائق أيضا عن قضية الدعم العسكري الذي كانت تتلقاه الجزائر من حين لآخر من الدولة العثمانية، وكذلك موضوع التجنيد.

وللإشارة فإن المكتبة الوطنية تحتوي على سجلات ورواتب الانكشارية، و هي عبارة عن دفاتر ضخمة تتضمن أسماء الجنود ورواتبهم، أصولهم وكنائهم، كذلك هناك وثائق تتعلق بالوضع الاقتصادي الذي كان سائدا في الجزائر في ذلك العهد.

وهناك مراكز أخرى تحوي الأرشيف مثل متحف المجاهد، أرشيف قسنطينة، الذي يحوي عددا لا بأس به من الوثائق العثمانية، حيث تضم وثائق عقود الزواج وسجلات الوقف التابع لبابيك قسنطينة، وكذا المدينة التي يوجد فيها سجل المحاكم الشرعية المتعلقة ببابيك التيطري.¹

المطلب الثاني: في الخارج:

تنوزع الوثائق العثمانية في أماكن عديدة من العالم منها:

أ- تركيا:

نظرا للارتباط التاريخي للجزائر بالدولة العثمانية لمدة زمنية تزيد عن ثلاثة قرون، ونتيجة هذا الارتباط وجدت وثائق خاصة بالجزائر، وهي موجودة بأرشيف الوزارة الأولى بإسطنبول وهي مقسمة إلى قسمين:

- وثائق محفوظة في إخبارات.

- مدونات في سجلات تحتوي على الفرمانات والمراسلات السلطانية².

تم إحصاء حوالي 7500 وثيقة، وقد ترجمت منها حوالي 2000 وثيقة من العثمانية إلى العربية، وتوجد الوثائق الخاصة بالجزائر في التصنيف والدفاتر الآتية:

¹ - مرجع نفسه، ص، ص: 15، 16.

² - فاطمة الزهراء صاري، "وثائق الإيالة الجزائرية في الأرشيف العثماني بإسطنبول"، الندوة الدولية حول الأرشيف الخاص بالجزائر والمحفوظ بالخارج، مج4، مطبوعات الأرشيف، الجزائر، 2000، ص: 86.

-**تصنيف الخط الهمايوني:** صنف في الوثائق التي عالجت مسألة الاحتلال الفرنسي وموقف الدولة العثمانية منه، إلى جانب المراسلات بين أحمد باي والأمير عبد القادر والسلطان عبد الحميد الثاني.

-**دفاتر المهمة:** وهي الوثائق التي ضمت في أغلبها الفرمانات والأوامر السلطانية الصادرة إلى ولاية الجزائر في مختلف الشؤون الخاصة بأمور الانكشارية، و حركة تعيين وتغيير الولاة الجدد، كما تتضمن الأحكام الصادرة فيما يخص الشكاوي المقدمة في حق موظفي الإدارة¹.

ب- فرنسا:

نظرا للاحتلال الفرنسي في الجزائر، والذي دام عن ما يزيد إلى 130 سنة، وما ذكرناه عن حالة الوثائق في العهد الفرنسي عندما قامت فرنسا بنقل عن ما يزيد عن 200 ألف و 1500 علبة متعلقة بالمرحلة العثمانية ما بين 1961م/1962م، وهي متواجدة في المراكز التالية:

*أرشفيف وزارة الحرب بفان سان مجموعة ش (Série H).

*أرشفيف الغرفة التجارية بمرسيليا.

أما المكان الذي يضم العديد من الوثائق المتعلقة بتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وبالأخص الوثائق العثمانية هو:

-**أرشفيف ما وراء البحار آيكس إن بروفانس :** فيه ملف الجزائر العثمانية ضمن مجموعات (A-B-C-D)، بالإضافة إلى الأفلام المصورة للوثائق العربية التركية².

-**أرشفيف العاصمة الفرنسية باريس:** وهي تضم المجموعة ف (serie F 80) المتعلقة بالوثائق العثمانية³.

ج- إسبانيا:

¹-أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 73.

²-فاطمة الزهراء صاري، المرجع السابق، ص: 87.

³-أحمد صاري، من مصادر الأرشفيف المتعلقة بتاريخ الجزائر والمحفوظة بأرشفيف ما وراء البحار، مطبوعات من الأرشفيف الوطني الجزائري، الجزائر، 2000، ص: 95.

تكونت هذه الوثائق نتيجة الصراعات التي كانت بين الدولة الجزائرية والدولة الإسبانية لما يقارب 300 سنة، وعليه فإن الوثائق التي يحويها الأرشيف الوطني بالعاصمة مدريد هي عبارة عن رسائل ومراسلات بين دايات الجزائر وملوك إسبانيا، خاصة خلال أعوام (1780م - 1798م).

-بالإضافة إلى هذه الدول هناك دول أخرى تحوي على الأرشيف المتعلق بالدولة الجزائرية في المرحلة العثمانية، أمثال تونس التي تضم العديد من الوثائق المتعلقة بالجزائر العثمانية، وغيرها من الدول مثل: البرتغال، إيطاليا، ألمانيا، هولندا، إنجلترا، الدانمارك، النرويج، السويد، سوريا، قبرص، مصر، ليبيا، مالطة، المغرب الأقصى، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية¹.

تكونت هذه الوثائق نتيجة نشاط الدولة الجزائرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ويرجع سبب ذلك إلى قوة أسطولها البحري، مما سمح لها بتبادل العديد من المراسلات مع مختلف الدول، وسعيهم إلى كسب ود الدولة الجزائرية.

وخلاصة القول مما سبق، فإن الجزائر تملك ثروة زاخرة من الوثائق الأرشيفية تعد مصدرا أساسيا في تاريخ الجزائر، من حيث المواد والمواضيع التي تعد من أخطر المراحل التي شهدتها هذه الوثائق، أما من الناحية العلمية فهناك أهمية في تدوين تاريخ الجزائر في المرحلة الحديثة.

خاتمة:

من خلال دراستنا للموضوع نستنتج أن:

*تعتبر الوثائق الأرشيفية مادة أساسية في البحث العلمي عموما والدراسات التاريخية بصفة خاصة، انطلاقا من كونها كنزا حضاريا وموروثا ثقافيا وعلميا بالنسبة لجميع البلدان والدول، فهو سجل تاريخها ويحفظ ذاكرتها عبر الأزمنة والعصور.

*إن العلاقة التي يمثلها الأرشيف بالتاريخ هي علاقة تكاملية، والأرشيف هو المصدر الأول والخام التي تستند إليه الدراسات والأبحاث التاريخية، والتاريخ يكتب من الوثائق ولا تاريخ بدون وثائق .

¹ -يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 05.

*تعد وثائق الأرشيف العثماني مصدرا أساسيا لتاريخ الجزائر، وشاهدا على ما كانت عليه الإدارة والسلطة وحالة المجتمع والاقتصاد القائم.

*تتوزع وثائق الأرشيف العثماني حاليا في أماكن ومراكز عديدة داخل الوطن، وهذا راجع للسياسة التي انتهجتها الدولة الجزائرية من أجل الحفاظ على موروثها الثقافي، وتلعب هذه الوثائق أهمية بالغة من خلال طبيعة وكمية المادة التاريخية التي يمكن استنتاجها من الوثائق، حول طبيعة الحياة التي كانت تميز الجزائر في جميع الأصعدة.

المحاضرة رقم: 03: نصوص وثائقية نموذجية من أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول:

المبحث الأول: أرشيف رئاسة الوزراء: أهم دور الأرشيف العثماني:

المعروف بالأرشيف العثماني أهم أرشيف في تركيا، يضم الأرشيف عددا من الدفاتر والأوراق والملفات والخرائط وبعض الصور، وكلها عائدة للعهد العثماني ومكتوبة بالحروف العربية، وبينها الكثير من الوثائق باللغة العربية وكذلك بالفارسية وبالفرنسية في القرن التاسع عشر. والوثائق هذه صادرة عن ثلاث مؤسسات مركزية رئيسية في الدولة العثمانية الديوان الهما يوني - باب آصفي -باب دفتري، ويشكل أرشيف يلديز للسلطان "عبد الحميد الثاني" قسما هاما من أرشيف رئاسة الوزراء، كما يضم هذا القسم الوثائق الخاصة بعهدي السلطان "عبد العزيز" والسلطان "مراد الخامس"، وبصورة عامة تنقسم وثائق العهد العثماني في أرشيف رئاسة الوزراء إلى قسمين رئيسيين:

أولا: الدفاتر.

ثانيا: الأوراق¹.

المطلب الأول: دفاتر ديوان همايون: دفاتر مهمة:

فيها تسجيل جميع الأحكام والأوامر الصادرة من ديوان همايون، والمتعلقة بمختلف شؤون الدولة. وبالرغم من تسلسل أرقام هذه الدفاتر، فهناك بعض الأعوام لم تسجل أحداثها، وقد عثر على بعض الأجزاء تسد الفراغ في دفاتر المهمة، ولا يزال البحث مستمرا في هذا المضمار. كما أن الدفتر العشرين من هذه الدفاتر مفقود، وللعثور على الوثائق المطلوبة

¹-محمود عباس حمودة، الوثائق العثمانية في تركيا ومصر ودول شمال إفريقيا، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 1999، ص: 16.

فيها يجب تفحصها من أولها إلى آخرها واحدا واحدا، حيث لم يتم بعد تنظيم كاتلوكات لها بكاملها¹.

المطلب الثاني: الديوان الدفتری وأقلامه:

ويضم سجلات رئاسة المحاسبة والدوائر والأقلام التابعة لها مثل سجلات قلم وكالة الذمم وسجلات أقلام الأمانات، الشؤون المالية مصانع الذخيرة والبارود، والمنقولات والغنائم وسجلات قلم المشاة والفرسان، وقلم المقاطعات الخاصة ورسوم البن وغيرها.

المطلب الثالث: أوراق ديوان همايون:

معظم هذه الأوراق عائدة للقرن الثامن عشر وما بعده، أما الأوراق العائدة لما قبل القرن الثامن عشر فلم يكن العثور إلا على مقدار ضئيل منها، وفيما يلي نذكر أهم الوثائق المعروضة للبحث والتدقيق في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول. أولا النسخ الأصلية لجميع المعاهدات والاتفاقيات المعقودة مع دول أجنبية، كارتونات تامة تضم النسخ الأصلية لرسائل سلاطين عثمانيين، وكذلك هناك أوراق "صندوق نامة" تضم وثائق تتعلق بمسائل خارجية هامة، وأوراق الديوان الهمايوني القديمة والحديثة، وهي عائدة للقرن تاسع عشر².

المبحث الثاني: تصنيفات وثائق الأرشيف العثماني:

لقد صنفت الوثائق في الأرشيف حسب نظام الأصل أو المصدر الذي يعتمد على تصنيف الوثائق، حسب المنشأ الأصلي ثم التسلسل الزمني. وما زال العمل مستمرا بهذا الأسلوب منذ أكثر من ثلاثين سنة، حيث تم الفراغ من تصنيف الأوراق الخاصة بالتشكيلات المركزية العثمانية والديوان الهمايوني والباب الأصفي والباب دفتری ودوائر الصدارة العظمى والنظارات.

¹-عثمان زكي صويغت، "دور الأرشيف في تركية"، مجلة تراثنا، العدد:50، محرم- صفر 1435هـ/ نوفمبر- ديسمبر

2013م، ص: 5.

²-عثمان زكي صويغت، مرجع سابق، ص: 12.

وهي تشكل ما يقارب خمسة عشرة مليون وثيقة، وما زالت أعمال الفهرسة ووضع القوائم الخاصة بها مستمرة إلى وقتنا هذا¹، فمن التصنيفات الموجودة في الأرشيف العثماني نذكر ما يلي:

1- دفاتر المهمة:

وهي دفاتر خاصة بقلم الديوان، تضم قيود الفرمانات والأحكام الصادرة عن الديوان الهمايوني التي تمت مذاكرتها في اجتماعات الديوان فيما يتعلق بشتى أمور الدولة من القضايا الداخلية والخارجية .

2- الخط الهمايوني:

أو الفرمانات ويوجد في تصنيف الخط الهمايوني عدد كبير من الوثائق ما بين خطوط همايونية وإرادات سنوية ورسائل همايونية، وبه وثائق تعود إلى عهد محمود الأول، إلى أن غالبية الوثائق تخص عهد سليم الثالث ومحمود الثاني².

3- إرادات شورى الدولة: وهي التشكيل الذي تم تأسيسه بعد إلغاء المجلس الأعلى، وكان ينظر في أمور محاكمة موظفي الدولة وتقاعدهم، وأعمال الإنشاء والتعمير، وامتنيازات المناجم ومراجعة لوائح النظم والتعليمات³.

4- محاضر مجلس الوزراء: وتسمى مضابط مجلس الوكلاء، وتحتوي على القرارات الصادرة نتيجة للمناقشات والمباحثات التي قام بها رجال الحكومة العثمانية من خلال مجلس الوكلاء الخاص، الذي كان يتشكل من الصدر الأعظم رئيسا وعضوية شيخ الإسلام ومختلف النظار (أي الوزراء)، ويوجد في أسفل كل واحدة من هذه المضابط توقيع الأعضاء الحاضرين، وقد استمرت هذه الاجتماعات حتى نهاية الدولة العثمانية⁴.

5- وثائق قصر يلدز: وهي الوثائق والدفاتر المتعلقة بفترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني، وقد قسمت وثائق هذا التصنيف إلى الأقسام الآتية أوراق يلدز الأساس، أوراق

¹-محمد مهدي إيلهان، "ملاحظات وآراء حول الأرشيف عثماني وأهميته في دراسة التاريخ العثماني"، مجلة الدارة، العدد: 04، س: 15، 1410هـ/ 1990م، ص 93-98.

²-محمود عباس حمودة، مرجع سابق، ص: 15.

³-سهيل صابان، الجوف في وثائق الأرشيف...، مرجع سابق، ص: 03، 04.

⁴-محمود عباس حمودة، مرجع سابق، ص: 13.

المعروضات الرسمية إلى الصدارة، أوراق المعروضات الخاصة إلى الصدارة، أوراق المعروضات المتنوعة، أوراق فردية قسم دفاتر.

6- دفاتر الولايات: وهي الدفاتر المستقلة التي تتناول شؤون الولايات في الدولة العثمانية منذ تغيير نظام الولاية بنظام الإيالة عام 1864م، بها دفاتر تخص مناطق الجزيرة العربية¹.

7- غرفة أوراق البابا العالي: وثائق هذا التصنيف قسمت حسب النظام المصدري المتبع في الأرشيف، الصدارة، المجلس الأعلى، الخارجية، الداخلية، أوراق الدعاوي، وللدلالة على كمية الوثائق الموجودة في قسم الصدارة من غرفة الباب العالي فإنها تبلغ حوالي مليوني وثيقة².

8- داخلية نظارتي قلم مخصوص مديرتي: أنشأت إدارة القلم المخصوص السكرتيرية الخاصة لتأمين الاتصالات الداخلية والخارجية السرية والخاصة لوزير الداخلية، والوثائق الموجودة في الأرشيف العثماني تحت هذا التصنيف تخص الوثائق الخاصة بإدارة القلم المخصوص، تتضمن فعاليات الدول المعادية وفعاليات القوات الوطنية والاحتلال اليوناني، كما تتضمن تعيين الموظفين وتقديم الأوسمة والنياشين للمستحقين³.

9- داخلية نظارتي مخابرات عمومية دائرة سي، ساسي أوراق:

الوثائق السياسية الموجودة في هذا القسم تم ترتيبها من قبل موظفي إدارة الاتصالات العامة، ووضعت في فهارس خاصة بعد ترقيمها، وقد رتبت تلك الفهارس حسب موضوعاتها وليس حسب التسلسل الزمني.

10- محاسبة الحرمين: يوجد في هذا التصنيف 660 دفترًا تتناول الأمور الخاصة بحسابات الحرمين الشريفين، ويوجد في هذه الدفاتر حسابات الأوقاف والمقاطعات الخاصة بالحرمين والمرتبطة بإدارة محاسبة الحرمين، كما توجد فيها السجلات المتعلقة بالحرمين الشريفين والمقيمين فيها⁴.

¹-سهيل صابان، الجوف في وثائق الأرشيف...، مرجع سابق، ص: 4.

²-نجاتي أقطاش، مرجع سابق، ص: 49.

³-محمد مهدي إيلهان، مرجع سابق، ص: 97.

⁴-سهيل صابان، الجوف في وثائق الأرشيف...، مرجع سابق، ص: 4.

المحاضرة رقم: 04: نصوص وثائقية نموذجية من أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية:

المبحث الأول: مفهوم المكتبة الوطنية:

أسس الفرنسيون نواة المكتبة الوطنية في الجزائر سنة 1835م، وينسب الفضل في ذلك إلى "المارشال كلوزيل" في عهده الثاني، وإلى كاتبه الخاص "بير بروجر"، وقد أصبح هو المحافظ للمكتبة منذ إنشائها وإلى وفاته سنة 1869م، ولكن بعضهم يقول أن مشروع إنشاء المكتبة الوطنية يرجع إلى المتصرف المدني "جنتي دي بوسيه" أي منذ سنة 1832م، فهو الذي فكر في ذلك لكي تستقبل المكتبة الجديدة المخطوطات العربية بالدرجة الأولى¹، تقول سجلات ذلك الوقت إن الهدف من إنشاء مكتبة وطنية، هو استقبال الوثائق والمخطوطات والكتب المطبوعة عن تاريخ الجزائر وتاريخ العلوم المساعدة للسكان الفرنسيين على التعلم والثقافة، وكانت الكتب المطبوعة تصل إلى المكتبة عن طريق الهدايا من وزارة الحرب، ومن وزارات أخرى مثل الداخلية والتعليم، وجهات أخرى مختلفة، في أول إحصاء للمكتبة سنة 1841م ثبت أنها كانت تملك حوالي 1800 من الكتب المطبوعة، معظمها بالفرنسية واللاتينية، وهي من حيث الموضوع في الأدب القديم والحديث، والتاريخ والآثار والفلسفة والفيزياء والجغرافيا، أما قسم المخطوطات فيحتوي على 647 مخطوطة، ومنها حوالي 400 كان قد جمعها "بير بروجر" أثناء الحملات على قسنطينة ومعسكر وتلمسان².

لهذا تعد المكتبة الوطنية الجزائرية المرجع الرئيسي للإنتاج الفكري الوطني المطبوع في كل المجالات والتخصصات المعرفية، وبالتالي فهي بمثابة البنك المركزي للمعلومات الوطنية.

المبحث الثاني: أهدافها ومهامها:

حدد مرسوم رقم 93-143 المؤرخ في 22 جوان 1993م مهام المكتبة الوطنية، حيث نصت على أن تقوم بجمع كل الوثائق الخاصة للإيداع القانوني ومعالجتها، وتقتني وتعالج

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي: (1830-1954)، ط1، ج5، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص: 340.

² - أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 341.

وتحافظ وتوزع على المؤلفات والوثائق بمختلف أشكالها الصادرة عبر التراب الوطني وفي الخارج¹.

وتقوم كذلك بتجميع مجموعات المخطوطات والقطع النقدية والأوسمة والوثائق النادرة، إضافة إلى أنها تحافظ على مجموعات الوثائق المختلفة، وتنظم الأنشطة والتظاهرات الثقافية والعلمية².

وتضع تحت تصرف الباحثين الوثائق والوسائل المادية الكفيلة بتسهيل نشاطاتهم ، كما تقوم بجرد التراث الوطني المكتوب والمحافظة عليه³.

وبما أن المكتبة الوطنية مسؤولة عن حفظ التراث المخطوط، فقد أولت اهتمام كبير بالمخطوطات، وذلك بتوفير حيز خاص بها يتمثل في مصلحة المخطوطات والكتب النادرة إضافة إلى مصالح أخرى مساعدة كمصلحة التصوير التجليد والحفظ⁴.

توجد في هذه المصلحة مخطوطات في شتى فنون المعرفة، موجودة في صناديق مغلقة بإحكام يمنع الدخول إليها، وأغلب المخطوطات الموجودة بها قد تمت فهرستها، ولا زال جزء منها قيد الدراسة، وفي أغلب الأحيان يتم الاستعانة ببعض الخبراء والمختصين في مجال تحقيق بعض العناوين، ويتم التعاقد معهم حسب الحاجة والطلب⁵.

¹- زبيدة بوبكر، خصائص جمهور المكتبة الوطنية الجزائرية وانعكاساتها على استخدام الأرصدة الوثائقية: دراسة إحصائية، مذكرة ماستر في علم المكتبات، تخصص: إدارة مؤسسات وثائقية ومكتبات، قسم العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021، 2022، ص: 39.

²- مرجع نفسه، ص: 39.

³- حفصة بوخاري ونصيرة بوخاري، دراسة ميدانية لواقع مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة الدكتور يحيى فارس المدية، كلية الآداب واللغات، تخصص: حماية ممتلكات ثقافية، 2014، 2015، ص: 46.

⁴- حفصة بوخاري ونصيرة بوخاري، مرجع سابق، ص: 68.

⁵- عبد الكريم حمو، "الكوديكولوجيا ومشروع رقمنة المخطوطات الجزائرية: دراسة ميدانية لدائرة المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة، الجزائر"، مجلة لغة كلام، مخبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي بغيليزان، العدد: 02، جوان 2019، ص: 83.

وقد فتحت هذه المصلحة أبوابها في 16 أبريل 1998م، تتضمن المصلحة كتب المخطوطات لعلماء من مختلف أرجاء العالم، وهي تولي عناية بها خلفه أبناء الجزائر من آثار في شتى اللغات¹.

المبحث الثالث: مصادر المخطوطات المكتبة الوطنية:

1- الإيداع القانوني:

باعتبار أن الوظيفة الأساسية للمكتبة الوطنية هي حفظ التراث الفكري في أشكاله المختلفة، فإن الإيداع القانوني هو أول مصدر في تكوين وتنمية مجموعات المكتبة الوطنية.

2- الشراء:

لهذا النوع من التزويد أهمية خاصة في المكتبة الوطنية بالحامة، فهو يمكنها من تنمية وتنويع مقتنياتها، كما يمكن من تلبية حاجات المستفيدين من المواد، ضف إلى ذلك أنه يستهلك من الميزانية العامة للمكتبة الوطنية، وعن طريقه يمكن للمكتبة أن تسد النقص الموجود في مجموعات².

3- التبادل والإهداء:

عمل القائمون بالمكتبة الوطنية على تجسيد هذا النوعين من أشكال التزويد في مصلحة واحدة هي مصلحة التبادل والهدايا، والتي تقع في الطابق السفلي من مبنى الحامة. ومن منطلق مهمتها الأساسية الرامية إلى إقامة علاقات تبادل وإعارة المطبوعات، والمساهمة في تحرير اتفاقية ثنائية بين المكتبات لإثراء مجموعات المكتبة، وتوزيع الببليوغرافيا الجزائرية والتعريف بالإنتاج الفكري الجزائري، وتزويد مكتبات الوطن بمجموعات الكتب، تقوم المصلحة بتبادل الوثائق وذلك بالاتفاق بين مختلف المكتبات والمراكز التوثيقية، وكل المؤسسات ذات الطابع الثقافي³.

المبحث الرابع: مواقع الوثائق والمخطوطات في المكتبة الوطنية:

¹-فتيحة محاجبي ولعمروس أمال، "آليات تنظيم وتسيير التراث المخطوط بالجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية أنموذجاً"، مجلة أفكار وآفاق، العدد: 04، 2021، ص: 108.

²-نعاس عماري، "بناء المجموعات المكتبية وتنميتها بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة): واقعها وسبل تطويرها"، مجلة علم المكتبات، المجلد: 06، العدد: 01، ديسمبر 2014، ص: 99.

³- مرجع نفسه، ص: 100.

تكتسي الوثائق أهمية خاصة في الدراسات التاريخية، وهذا ما أجبر الباحثين إلى الاهتمام المتواصل بها حفظا وتحقيقا، وفي إطار هذا المنظور شكلت ملفات الوثائق العثمانية التي تتوفر عليها المكتبة الوطنية بالحامة "الجزائر العاصمة"، إحدى المصادر التاريخية المهمة التي أرخت للجزائر العثمانية، إذ مثلت ذلك الوعاء المعلوماتي الذي زود الباحثين بمعلومات دقيقة وواضحة من جوانب متعددة سواء كانت سياسية، عسكرية، اقتصادية أو اجتماعية¹، وقد خصت هذه الوثائق المراسلات المتبادلة بين وكلاء الجزائر في كل من إزمير، أدرنة، ومصر من جهة، وحكام إيالة الجزائر من جهة أخرى، كما يشمل الرصيد على عدد كبير من المراسلات المتبادلة بين تجار المدن الواقعة في الأناضول مع أعيان مدينة الجزائر، بالإضافة إلى عدد من الرسائل العامة التي كانت تنقل عبر قوافل الحج والسفن التجارية والعسكرية².

ومن أهم ما أكده الباحثون المهتمون بتاريخ الجزائر، أن الفرنسيون لما احتلوا الجزائر قد وجدوا في مقراتها الإدارية والمركزية والإقليمية كميات هائلة من الوثائق تقدر بمئات من السجلات، وعشرات الآلاف من الرسائل والأوامر ونصوص المعاهدات، وغيرها من الوثائق التي تغطي مختلف مراحل العهد العثماني، وكان من وراء اهتمام الجزائريين بوثائقهم عوامل عديدة³، أهمها الإدارة المعقدة التي كانت قائمة في البلاد باعتبارها مقاطعة تابعة بصفة أو بأخرى للدولة العثمانية، والالتزامات التي كان على تلك الإدارة الوفاء بها اتجاه القوى الخارجية، إضافة إلى عامل الشريعة الإسلامية التي تعطي أهمية كبيرة للتوثيق، وتحث المسلمين على تدوين معاملاتهم في جميع المجالات، لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا" (الآية 282 من سورة البقرة)، وتثبت بعض الوثائق التي لا تزال تحتفظ بها المكتبة الوطنية

¹-دوالي خديجة، "دراسة نقدية وفنية لملفات الوثائق العثمانية: (الملف 1642 أنموذجا)"، جسور المعرفة، المجلد: 08، العدد: 02، جوان 2022، ص: 432.

²-ليلي غويني، "قراءة في الرصيد الأرشيفي بالمكتبة الوطنية الجزائرية الخاص بالجزائر في الفترة العثمانية: الوثائق القضائية نموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد: 11، العدد: 01، ديسمبر 2010، جامعة الجزائر، ص، ص: 81، 82.

³-خليفة حماش، كشف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2012، ص: 07.

بالجزائر، أن الجزائريين كانوا شديدي الحرص على العناية بوثائقهم والحفاظ عليها، فكانت سجلاتهم تتكون من ورق أملس ملائم للكتابة وشديد المقاومة¹، وتجلد بجلد فاخر يعطيها منظرا جميلا ويحميها من مؤثرات العوامل الخارجية، و كانت الرسائل تكتب على ورق جيد وكبير الحجم ومقاوم أيضا، وعلى الرغم من يد العبث التي ضربت رصيد الوثائق الجزائرية منذ الاحتلال الفرنسي، فإن ما حفظه الزمن لنا من ذلك الرصيد ولو كان قليلا وأغلبيته ليس أصليا، يدل على أنه كان به عند وقوع الاحتلال ووثائق تعود بتاريخها إلى أكثر من قرن ونصف قبل ذلك، وأثبت المختصون في تاريخ الجزائر في العهد العثماني أن الجزائريين كانوا يرتبون ووثائقهم وفق أرقام تسلسلية لكي يسهل عليهم الرجوع إليها عند الحاجة، وتلك العناية الفائقة بالوثائق لدى الجزائريين هي التي جعلت عشرات الآلاف إن لم نقل مئات الآلاف من الوثائق تتراكم في مقراتهم الإدارية².

1- المجموعة رقم 1642 بالمكتبة الوطنية:

هذه المجموعة عبارة عن رسائل أغلبها باللغة العربية، أرسلها محمد باي وأحمد باي في قسنطينة إلى حسين باشا في الجزائر من سنة (1817-1830م)، وعددها ثلاثون رسالة مرقمة من 1 إلى 30، وكلها أصلية وجمعت في مجلد³.

*رسالة من أحمد باي إلى حسين باشا 14 جانفي 1828م حول وصول خبر ولادة ابن لدى السلطان العثماني من الجزائر إلى قسنطينة، ومراسيم الانتقال الذي أقيم بتلك المناسبة.

*رسالة من أحمد باي إلى حسين باشا 18 فيفري 1828م حول هروب بعض الرعايا الجزائريين إلى تونس، وهروب الرعايا التونسيين إلى الجزائر، والخلافات الناجمة عن ذلك بين الإيالتين.

*رسالة من أحمد باي إلى حسين باشا 7 ماي 1828م متعلقة بوصول رسائل من وكيل الجزائر في تونس موجهة إلى الباشا ووزرائه، وبعض النصارى حول مسألة بيع أملاك صهر الباي السابق¹.

¹- مرجع نفسه، ص: 07.

²- مرجع نفسه، ص: 07.

³- مرجع نفسه، ص: 08.

2- المجموعة رقم 1903 بالمكتبة الوطنية الجزائرية:

هذه المجموعة عبارة عن رسائل ورد أغلبها إلى ابراهيم ومصطفى وكيلا الخراج بباب الجزيرة، من وكلاء الجزائر في تونس وجبل طارق وبايات الشرق في قسنطينة، وبايات الغرب في وهران وبعض الموظفين، وأغوات النوبات والقواد في المدن الساحلية، وتغطي الفترة من 1823-1830م، وعددها 74 وثيقة مرقمة من 1 إلى 74، وهي أصلية كلها وجمعت في مجلد² ومن بينها:

*رسالة من حسن باي الغرب إلى ابراهيم وكيل الخراج، دون تاريخ، حول إرسال بعض الأشياء إلى الجزائر، ويتلقى هدية من وكيل الخراج.

*رسالة من حسن باي الغرب إلى ابراهيم وكيل الخراج، دون تاريخ، حول إخضاع بعض القبائل المتمردة³.

*رسالة من يحيى آغا إلى ابراهيم وكيل الخراج في 29 مارس 1826م، حول إرسال الأشخاص الإنجليز الذين تحطمت سفينتهم في عرض البحر، ووصلوا على متن زورق إلى الجزائر.

3- المجموعة 2316 (في القضاء):

وعدها اثنان وستون وثيقة، أقدمها تعود إلى عام 1787م، وتخص القضايا المطروحة بمحاكم تلمسان وقسنطينة.

4- المجموعة 3204:

عدد الوثائق القضائية بها وثيقتان، الأولى مؤرخة سنة 1708م، والثانية سنة 1729م.

5- المجموعة 3205:

الوثائق التي تخص الجانب القضائي، موجود في الملف الثاني عدد الوثائق فيها هو خمسة وخمسون، أقدمها يعود إلى 1567م⁴.

¹-مرجع نفسه، ص: 36.

²-مرجع نفسه، ص: 40.

³-مرجع نفسه، ص: 47.

⁴-مرجع نفسه، ص: 47.

المحاضرة رقم: 05: المخطوطات التاريخية العثمانية بالمكتبة الوطنية الجزائرية:**المبحث الأول: مخطوطات الجزائر العثمانية:****المبحث الثاني: التدوين التاريخي في الجزائر العثمانية:**

لقد مر التدوين التاريخي بالجزائر في العهد العثماني بمرحلتين، المرحلة الأولى عرفت عزوف عن التدوين التاريخي وسيطرة الطرق الصوفية¹، زد على ذلك عدم اهتمام السلطات الحاكمة خاصة مع فترة الدايات بالمجال الثقافي وتشجيع العلماء².

وقد أدت السياسة العثمانية التي كانت لا تريد أن ترى فئة العلماء قوية فيؤدي تماسكها إلى الإطاحة بالنظام، وقد نجحو في ابقائهم تحت نفوذهم، وعملوا على تشجيع الخلاف بينهم و البحث عن الضعاف منهم والتخلص من الأقوياء، وتجنب إعطاء نفوذ للعلماء المتصلين بالأهالي³. وقد ساهمت سياسة الحكام إلى هجرة الكثير من العلماء، والطلبة الجزائريين إلى تونس وغيرها من البلاد الإسلامية العربية⁴.

أما المرحلة الثانية، فقد ظهرت فيها الجدية في الكتابة لعوامل أهمها الأحداث التي شهدتها البلاد كفتح وهران عام 1792م، و تقرب بعض الحكام من العلماء. فقد عرفت هذه المرحلة نوعا من النشاط في حركة التأليف، حيث بعد فتح وهران التفت العديد من العلماء والكتاب إليها تخليدا للحدث العظيم الذي شهدته الناحية الغربية⁵.

ضف إلى ذلك تشجيع بعض الحكام العثمانيين للعلماء على كتابة مختلف الوقائع والانتصارات مثلما قام به محمد الكبير باي وهران، الذي تقرب من العلماء وحثهم على تسجيل وقائع تحرير وهران⁶.

¹- وافية نفطي وأمانى سعدالي، "مسألة التدوين التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة هيروودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد: 07، العدد: 02، ماي 2023، ص: 73.

²- بحري أحمد، "ملاحم التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد: 08، العدد: 09، ديسمبر 2012، ص: 256.

³- محمد دادة، "التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني: خصائصه وموضوعاته"، مجلة عصور الجديدة، المجلد: 02، العدد: 04، جانفي 2012، ص: 123.

⁴- وافية نفطي وأمانى سعدالي، مرجع سابق، ص: 73.

⁵- مرجع نفسه، ص: 76.

⁶- مرجع نفسه، ص: 76.

وقد سعى الحكام العثمانيين في هذه الفترة على حشد وتشجيع العلماء لإبراز مشروعية حكمها، واستحقاق نفوذها على المجتمع الجزائري، خاصة بعد نشوب الثورات الصوفية أوائل القرن 19م المعادية لهم والمهددة لحكمهم، وبالتالي فإن اهتمام الحكام العثمانيين بالتدوين التاريخي عاد بناء على حاجتهم له كمبرر لحكمهم، وحتى يدافعوا عن وجودهم في الجزائر¹.

المحاضرة رقم: 06: نصوص نموذجية من مخطوطات التاريخ العثماني بالمكتبة الوطنية الجزائرية:

المبحث الأول: نماذج عن مخطوطات الجزائر العثمانية في المكتبة الوطنية:

المطلب الأول: دليل الحيران وأنيس السهران:

مخطوط دليل الحيران توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية تحت رقم (3324-3325) وهو مؤلف لمحمد بن يوسف الزياني البرجي²، وقد جاء في هذا المخطوط التعريف بمدينة وهران ومن خطها وسبب تسميتها، وذكر بعض علمائها وأوليائها، وتطرق إلى الدولة الأولى مغراوة والتعريف بهم وبنسبهم وبطونهم، وذكر من أشتهر منهم وسبب إسلامهم ومن ملك وهران منهم، وذكر الدولة الثانية والثالثة المرابطون والرابعة بنو مرين، ثم ذكر الإسبان وبنسبهم وأرضهم وملوكهم ومن حكم وهران منهم³.

كما ذكر الترك نسبهم وسبب انتشارهم في الأرض، وسبب مجيئهم إلى الجزائر، وذكر ملوكهم في الإسلام، ومن ملك منهم وهران، وذكر باشاتهم بالجزائر، وتطرق إلى معنى الباي وكيفية تصرفه، كما ذكر أسماء بايات الغرب، ومن ملك منهم وهران ثم تطرق للفرنسيين⁴.

المطلب الثاني: تاريخ بلد قسنطينة:

توجد نسخة من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية في الجزائر العاصمة تحت رقم 1645، وتمتد من الصفحة الأولى إلى الصفحة 30 لكاآبه الشيخ الحاج أحمد بن مبارك بن العطار¹

¹-مرجع نفسه، ص: 76.

²-محمد بن يوسف الزياني البرجي ثم الوهراني، من مواليد أواخر القرن 19م ببلدية البرج ولاية معسكر، من أسرة علمية كانت تتولى الوظائف في العهد العثماني.

³-محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران، تحقيق: الشيخ المهدي البوعبدلي واعتاء عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2022، ص: 05.

⁴-مصدر نفسه، ص: 332.

يتناول هذا المخطوط من غزى قسنطينة، وهجوم مراد باي على قسنطينة، وهجوم حمودة باشا على قسنطينة، وسبب بناء قلعة المنصورة، ثم تطرق لذكر بعض الولايات كولاية حسين باي بوحناك، وولاية حسن باي أزرق العينين، وولاية أحمد باي القلي وترجم لعلامة الشيخ فتح الله وتطرق لقضية أحمد القبائلي².

المطلب الثالث: مجاعات قسنطينة:

يوجد منه نسخة في المكتبة الوطنية تحت رقم 2330 تتكون من 23 ورقة لكتابه صالح العنتري³. يتحدث هذا الكتاب عن الأزمة التي وقعت في أواخر العهد التركي بتوسع وذكر بأن هذه الأزمة جاءت بعد ثورة الشريف ابن الأحرش التي اندلعت في وادي الزهور من الأعمال التابعة لقسنطينة وذلك سنة 1803م ثم انتشار أزمة القحط والمجاعة الشديدة التي أصابت الناس في ذلك الزمن⁴.

وقد تطرق إلى ذكر ثورة ابن الأحرش، وتكلم فيه عن القحط وغلاء أسعار الحبوب، وتطرق كذلك إلى أزمة القحط في زمن الفرنسيين⁵.

المطلب الرابع: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار:

¹ - الشيخ الحاج أحمد بن مبارك بن العطار: ولد بقسنطينة عام 1790م وتوفي عام 1870م، شرع بن العطار في مزاوله التعليم بمساجد قسنطينة على يد شيوخه أمثال الشيخ أبو راشد عمار الراشدي، وفي شبابه مارس حرفة التجارة التي منحتها فرصة الحضور لحلقات الدروس بجامع الزيتونة، عندما كان يتردد لتونس بغرض التجارة. ينظر: الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص: 03، 05.

² - مصدر نفسه، ص: 62.

³ - صالح العنتري: هو صالح بن العنتري بن محمد بن العنتري، ولد بين عام 1790 و1800م وتوفي بعد 1870م، وينتمي إلى عائلة ذات مكانة اجتماعية وعلمية في مدينة قسنطينة، فقد كان والده محمد العنتري الكاتب الخاص للحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة، هذا وقد عمل العنتري ككاتب بإدارة الشؤون العربية تحت إشراف النقيب بواسوني، وترك عدة مؤلفات من بينها: الأخبار المبنية في تاريخ قسنطينة عام 1844م وطبع سنة 1846م، وفريدة منسية في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة. ينظر: صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص: 13.

⁴ - مصدر نفسه، ص: 10.

⁵ - مصدر نفسه، ص: 13.

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار مخطوط لكاآبه محمد بن أحمد بن أبي راس الناصري¹، توجد منه نسختان في المكتبة الوطنية بالعاصمة، كلتا النسختين تحتوي على 165 ورقة تقع الأولى تحت رقم 3327 والثانية 1632².

يتحدث هذا المخطوط على مجال بلاد المغرب وحدودها، ويتناول الصراع بين بنو غانية والموحدين، وتطرق كذلك للقبائل القوية كالثعالبة بمتيجة وتوجين القبيلة الزناتية، وبنو يفرن وإمارة تلمسان، ومغراوة وإمارة مازونة وسويد وبنو عامر ومغيلة ومنداس، وتطرق كذلك إلى أهم المدن والقواعد على غرار الجزائر المحروسة وتلمسان وتاهرت وتنس، وتطرق كذلك لفتح وهران³.

وفي الجزء الثاني تطرق إلى التعريف بشخصية محمد بن عثمان باي الغرب الجزائري، وتطرق فيه كذلك لذكر أقسام بلاد المغرب، وذكر بعض الحروب على غرار حرب بنو غانية، وعرف بشخص محمد الكبير وتطرق لموضوع فتح وهران⁴.

المطلب الخامس: قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705)

قانون مدينة الجزائر لكاآبه لمتولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد⁵، موجود هذا المخطوط في المكتبة الوطنية تحت رقم 1670 بعنوان أوامر تركية⁶.

يتحدث هذا الكتاب عن القوانين المعمول بها في الأسواق ويتطرق كذلك لعنصر مرض الطاعون وانتشاره في المدينة¹.

¹- محمد أبو راس الناصري، عالم وفقه عسكري، ولد بنواحي مدينة معسكر بين جبل كرسوط وهونت عام 1735م، من عائلة ذات علم ودين وتصوف وتوفي عام 1823م بسبب إصابته بمرض الطاعون، تاركا وراءه العديد من المؤلفات في مجالات متنوعة.

²- محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تقديم وتحقيق: محمد غالم، مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، ص: 05.

³- مصدر نفسه، ص: 257.

⁴- مصدر نفسه، ص، ص: 259، 260.

⁵- عبد الله بن محمد الشويهد، كانت عائلته ذات نفوذ في مدينة الجزائر، تولى العديد من أفراد أسرته التجارة، واشتغل هو منصب أمين الأمناء، نواصر عبد الرحمن، "تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر من الناحية الاقتصادية، من خلال مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر لمتولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد:

05، العدد: 10، جوان 2017، ص: 231.

⁶- نفسه، ص: 231.

الخاتمة:

- وفي الأخير وبعد دراستنا لهذا الموضوع يمكننا استنتاج بعض النقاط التالية:
- إن العناية بالمخطوطات كجزء مهم من التراث وبذل الجهود الفردية والجماعية لحمايتها ودراستها والتعريف بها بروح علمية واعية هو أحد مظاهر الإيمان بالأمة وتاريخها وأمجادها وتأسيسا لثرواتها الثقافية والفكرية.
 - بالرغم من وجود الوعي والجهود العديدة للعناية بهذا التراث المهم إلا أن هناك الكثير من العوائق الداخلية والخارجية ساهمت في منع تمثيل هذا التراث بأرقى صورة
 - إن سر بقاء المخطوطات للأجيال اللاحقة والمحافظة عليها ليس في حمايتها وصيانتها من التلف فقط بل بالتعريف بها والإشارة إليها أماكن المخطوط تواجدتها في المكتبات
 - أن المكتبة الوطنية الجزائرية تقوم بتثمين التراث بصفة عشوائية لعدم توفرها على مؤهلات بشرية وميزانية غير كافية للقيام وبهذا النشاط.
 - إن أرشيف المكتبة الوطنية الخاص بالفترة العثمانية يمثل نقطة ارتكاز في الدراسات التاريخية ، ومصدر للمعلومات الأولية فيها.
 - إن للمخطوطات العثمانية تلعب دور كبير في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية.

المحاضرة رقم: 07: المصادر العربية للتاريخ العثماني:**المبحث الأول: مفهوم المصدر:****أ- لغة:**

جاء تحت مادة صدر كان كثيرا، وتعني الصدر أعلى كل مقدم كل شيء وأوله، وكل ما يواجهه، وتعني المكان الذي ترجع إليه لأعلى كل شيء وأوله، ويزيد المصدر عن المرجع، إنما يكون الرجوع فيه للأشياء الأساسية الأولية².

ب- اصطلاحا:

هي أقوال الأشخاص المعتمدين، الذين عاصروا الحدث في زمانه ومكانه كوجهاء وأعيان وشيوخ مجتمع الدراسة، والاعتماد عليهم كمخبرين¹.

¹-نفسه، ص: 231.²-عبد الفتاح غدر، أزمة البحث العلمي في العالم العربي، ط3، مكتبة صلاح كجيلان، 1998، ص، ص: 22-23.

المبحث الثاني: أنواع المصادر:

تتقسم المصادر إلى نوعين وهي كالآتي:

1- المصادر المدونة:

وهي المصادر المكتوبة، وهي بدورها تنقسم إلى أربعة أنواع وهي:

أ- المخطوطات:

هي كتب لم يتم طبعها بعد، ولا تزال بخط المؤلف أو أخذت لها صورة شمسية لتودع كل صورة منها في إحدى المكتبات العامة وأعظمها نادرة الوجود².

ب- مصادر الرحالة:

هي المصادر التي وضعها أولئك الذين جابوا الأقطار، ووضعها كل منهم كشاهد عيان لها، دونه أثناء رحلته من معلومات، أو استقاها من أفواه أعيان العصر أو عامتهم³.

ج- مصادر الأقدمين المنشورة:

كل ما كتبه شاهدين عيان لأحداث، ولها فائدة عظيمة جدا في أنها تتيح للباحث أصل العقائد والأفكار والنظريات.

د- الوثائق الرسمية:

كالمعاهدات، والأوراق المصادق عليها⁴.

2- المصادر المادية:

هي جميع المخلفات الأثرية، من مسكوكات وعمران وغيرها⁵.

المحاضرة رقم: 08: نصوص نموذجية من المصادر العربية للتاريخ العثماني:

تعدّ الكتابات التاريخية من أهم منابع كتابة تاريخ إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، لأنها أصدق المصادر وأقربها إلى الحقيقة، ومن بين هذه المصادر خلال القرن الثامن عشر الميلادي كتابات العالم الشيخ عبد القادر المشرفي في مؤلفه بهجة الناظر في أخبار

¹-مجهول، مناهج البحث في علم الاجتماع، د. ط. س، ص: 62.

²-كامل حيدر، منهج البحث الأثري والتاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995، ص: 120.

³-المرجع نفسه، ص: 121.

⁴-المرجع السابق، ص: 122.

⁵-علي ابراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث، ط1، مطابع الإسلام، القاهرة، 1980، ص: 39.

الداخلين تحت ولاية الإِسبانيين بوهْران من الأعراب كبنّي عامر، فقد ترك معلومات هامة عن مدينة وهران وبايلاك الغرب الجزائري، والتجاذبات والصراعات الإِسبانية العثمانية من أجل السيطرة على المدينة. وتعكس لنا هذه الكتابة التاريخية المتمثلة في مؤلف "بهجة الناظر" اهتمام العلماء بقضية وحدة الإيالة، والوقوف في صف العثمانيين لكبد العدو النصراني الإِسباني وتوهين كيده، واستنقاذ المسلمين في وهران من عدوانه.

المبحث الأول: العالم عبد القادر المشرفي ومؤلفه "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإِسبانيين بوهْران من الأعراب كبنّي عامر": دراسة تحليلية نقدية:

ندّد عبد القادر المشرفي بالقبائل التي تعاونت مع الإِسبان أثناء احتلالهم لوهران، وكان على رأس العلماء الذين تبوّوا بحرارة دعوة العثمانيين لاستنقاذ المدينة من براثن النصارى. ثمّ بعد ذلك أفتى للحكّام بجواز قتل وقتال كلّ من ثبّت تورّطه في مداخله النصارى الإِسبان، وكان دافعه إلى ذلك كلّ رغبته في اتّحاد كلمة المسلمين في وهران للقيام بواجب الجهاد ضدّ الأعداء.

إنّ ما يهمنّا في هذه الدراسة إبراز عيون وجواسيس الإِسبان من القبائل المحلية التي كانت تقطن بضواحي مدينة وهران، مع تبيان الدوافع والأسباب التي جعلت من تلك القبائل تُقدّم مساعدات جليّة لأعداء الإسلام. وقبل أن نبدأ الكلام في الموضوع هذا يجدر بنا أن نقدّم له بالحديث عن الأصول اللغوية لعمل العيون والجواسيس، فما هو المقصود منهما لغة واصطلاحاً؟ ومن هو يا ترى هذا العالم الكبير عبد القادر المشرفي؟ وما هي مؤلفاته؟، ثم نعرّج على التعريف بالرسالة التي تركها الشيخ ومحتوياتها بغية إبراز موقفه من القبائل المتعاملة مع الإِسبان، والدوافع التي شجعت هاته القبائل في التعاون مع أعداء الإسلام والعمل عندهم كعيون وجواسيس ضد المسلمين؟.

1- تعريف العيون والجواسيس لغة واصطلاحاً:

لقد وجدت العديد من التعريفات لكلمة العين والجاسوس في اللغة، فقد تعددت التسميات لعمل العيون والجواسيس على مرّ العصور فتارة يطلق عليه اسم صاحب الخبر⁽¹⁾ أو الراصد⁽²⁾ أو اسم صاحب البريد، وتارة أخرى اسم العين أو الجاسوس أو الرقيب والمنذر أو الدسيس⁽³⁾ وعلى العموم فمجمّلها تتفق في كونها كلّها تصبّ في مجال عمل الجوسسة والاستخبارات، وسنحاول هنا استعراض أهم تلك التعريفات لغة واصطلاحاً:

أ- العيون والجواسيس لغة:

العين: هو الشخص الذي يُبعث لتجسس الخبر وتُسمّيه العرب ذا العينين، وذا العينتين أو العوينتين⁽⁴⁾، أمّا ابن منظور فقد عرفه بأنّه الطليعة الذي يأتي بالخبر، وهو الجاسوس⁽⁵⁾، وهو الديدبان⁽⁶⁾.

الجاسوس: يشير ابن منظور بأنّ اللفظ مشتق من الجَسَّ أي جَسَّ الخَبْرَ، ومنه التَجَسُّسُ وجَسَّ الخَبْرَ وتَجَسَّسَه بحث عنه وفحص، والجاسوسُ هو العَيْنُ يَتَجَسَّسُ الأخبار ثم يأتي بها. وأصل الجَسَّ في اللغة معناه اللَّمَسُ باليد، وقيل أنّ التجسس أن يطلب الخبر لغيره والتجسس أن يطلبه لنفسه، كما ذكر بأنّ التجسس هو البحث عن العورات والتجسس

(1): صاحب الخبر: هو الذي يحمل إلى الحاكم أخبار الناس، والجيش، والإدارة. لتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1939، ص: 73، 235.

(2): الراصد: هو الراصد بالشيء أي المراقب له، من فعل رصد يرصد رصداً. ينظر: أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد 1، ج3، تحقيق: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص: 177.

(3): الدسيس: هو الذي تدسس سراً ليأتيك بالأخبار، ومن صفاته المكر والدهاء والعمل ليلاً في جنح الظلام بعيداً عن الأضواء. ينظر: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج7، تحقيق: مهدي المخزومي، دار الحرية، بغداد، 1984، ص: 185.

(4): المصدر نفسه، ج2، ص: 255.

(5): ابن منظور، م1، المصدر السابق، ص: 3196.

(6): الديدبان: يقصد به الطليعة والرقيب والريئة والحارس. ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص: 295، 296.

هو الاستماع⁽¹⁾. أمّا الأنباري فقال أنّ الجاسوس معناه في كلام العرب هو "الباحث عن أمور الناس، فيقال تجسّس الرجل وتحسّس بمعنى واحد هذا إجماع أهل اللغة"⁽²⁾.

أمّا الزبيدي فيرى أنّ الجاسوس من التجسّس، والجسّ أي تَقَحُّصُ الأخبار والبحث عنها، والجاسوس هو صاحب سرّ الشرّ، وهو العَيْنُ الذي يَتَجَسَّسُ الأخبارَ ثم يأتي بها، والناموس هو صاحب سرّ الخير⁽³⁾. وعلى العموم فالجاسوس هو الذي يطلب معرفة الأخبار سرّاً ويتفحصها، ويبحث عنها لأجل نقلها.

ويُسمّى الجاسوس عيّنًا، وهو استعمال شائع عند الفقهاء وغيرهم، وذلك من باب إطلاق البعض على الكل، ويسمّى بالمجاز المرسل، فالجاسوس حينما جعل عنايته كلها متوجهة إلى عينيه فيبحث بهما عن العورات، ويُدَقِّق بهما للتوصل إلى كشف المستورات سُمّي بالعين⁽⁴⁾. وفي هذا المقام يقول ابن حجر: "وسمي الجاسوس عيّنًا، لأنّ جلّ عمله بعينه أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها كأنّ جميع بدنه صار عيّنًا"⁽⁵⁾.

ب- العيون والجواسيس اصطلاحاً:

العيون: هم الجواسيس الذين يطلعون على عورات المسلمين وينقلون أخبارهم للعدو، أي جاسوس على المسلمين يطلع الحربيين على عورات الناس، وينقل أخبارهم إليهم، وهو رسول الشر والناموس رسول الخير⁽⁶⁾.

الجواسيس:

(1): ابن منظور، ج7، المصدر السابق، ص: 624.

(2): أبي بكر بن محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ص: 368.

(3): محمد المرتضي الزبيدي، تاج العروس، ج4، دار ليبيا، بنغازي، ليبيا، 1966، ص: 119.

(4): محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 1985، ص: 29.

(5): أحمد بن محمد علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، عناية: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 2010، ص: 509.

(6): محمد المرتضي الزبيدي، ج4، المصدر السابق، ص: 119.

لقد وجدت العديد من التعاريف الاصطلاحية للجاسوس لا تكاد تختلف عن التعريف اللغوي في شيء، وعلى العموم فالمقصود بالجاسوس هنا هو الذي ينقل أسرار المسلمين إلى أعدائهم، وكلمة جاسوس نفسها وبحسب أصل معناها اللغوي تشعر بالبحث والتفحص وتكلف معرفة الأخبار والأحوال على وجه الخفية، وعليه يمكن أن نضع تعريفاً للجاسوس المقصود في البحث فنقول هو الشخص الذي يطلع على عورات المسلمين وأخبارهم ليوصلها إلى أعدائهم، وهو رسول الشرّ والناموس رسول الخير⁽¹⁾.

2- عيون وجواسيس الإسبان بحاضرة وهران على ضوء كتاب بهجة الناظر لمؤلفه الشيخ عبد القادر المشرفي:

لعبت العيون والجواسيس دورا بارزا في سيرورة أحداث الصراع العثماني الإسباني بحاضرة وهران، إذ أن القادة العسكريين الإسبان صبّوا جلّ اهتماماتهم في الاعتماد على العيون والجواسيس، وذلك لعدم درايتهم بطبيعة المنطقة الجغرافية وأحوال سكانها وأوضاعها الداخلية، فعلى هذا المنهج سار الإسبان مع القبائل المتعاونة معهم والتي تقطن بضواحي مدينة وهران⁽²⁾.

سنسعى في هذا المبحث إلى تسليط الضوء على علم من أعلام المسلمين عاش في القرن الثامن عشر الميلادي مجاهدا في سبيل التحصيل العلمي إنّه العلامة الشيخ عبد القادر المشرفي، إنّه علم من أعلام مدينة معسكر الجزائرية- والذي يُعدّ شاهد عيان على العصر - ، وعلى الجملة يسلط الضوء على مؤلفه المعنون ب: "بهجة الناظر" الذي عالج فيه علاقات القبائل مع الكفرة الاسبان وأساليب استخدام هاته القبائل للمدنيين في الحصول

(1): الدريير محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على شرح الكبير، ج2، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص: 182.

(2): للإشارة فقد أحتلت وهران من قبل الإسبان سنة 1509م، حيث استولى عليها جيش الكاردينال "خيميناز دوسيسنروس" كبير أساقفة طليطلة وحاكم إسبانيا. ولتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: أسماء أبلالي، "التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م: قراءة في الدوافع والنتائج"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد: الثاني، جامعة غرداية، 2017، ص: 42، 45.

على المعلومات وتقديمها للكفرة والمغاطيس⁽¹⁾ الإسبان، إضافة إلى الأساليب العسكرية، كما عبر في رسالته هاته عن وجهة نظر الرأي العام الاسلامي تجاه الغزاة الاسبان لأرض إيالة الجزائر.

3- التعريف بالشيخ عبد القادر المشرفي:

لم يحظ الشيخ المشرفي بترجمة وافية في كتب التراجم، وخير من ترجم للشيخ المشرفي الشيخ الكتاني في كتابه فهرس الفهارس حيث قال في ترجمته: "هو أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي الغريسي المعسكري المعروف ب: بن عبد الله، ويعرف أيضا ب: سقط وكان يدعى شيخ الجماعة وإمام الراشدية"⁽²⁾. يرجع نسبه إلى أسرة المشارف ذات الأصول الوثيقة بالعرهوبيين⁽³⁾ أبناء مشرف بن عبد الرحمن بن مسعود وأسرة المشارف إدريسية النسب من الفرع الحسني حسب أبو حامد المشرفي⁽⁴⁾.

اتفق أغلب المؤرخين على أنّ ولادة المشرفي كانت مع بداية سنة 1692م، وكانت في قرية الكرط⁽⁵⁾ بضواحي مدينة معسكر، أمّا المشرفي في طفولته وصباه فلم تذكر كتب

(1): من هذا أخذ الإسبان كلمة Mogatazes التي تدلّ على جواسيس وعيون قبيلة كرشتل. ينظر: عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت، ص، ص: 12، 13.

(2): عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيوخ والمسلسلات، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982، ج1، ص: 577.

(3): العرهوبيون: وهم حفدة العربي المدعو عرهب دفين تادلة من شرفاء فجيح بن محمد يعقوب الجد الجامع للشرفاء العرهبيين والعفبيين واليعقوبيين والمغراوبين، دفين جبل الدبس قرب مدينة معسكر بن عبد الله بن أبي عمران موسى... إلى إدريس الأكبر. ينظر: عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ت 1895م: حياته وأثاره، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006-2007، ص: 59.

(4): أبو حامد العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، دراسة وتحقيق: بن عمر حمدادو والعربي بوعمامة، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2011، ص، ص: 291، 292.

(5): الكرط: أو جبل الذهب كما كانت تُسمّى، وهي معسكر القديمة بها مقبرة شهيرة تضمّ عدداً من العلماء والأولياء الصالحين بالإضافة إلى مسجدها المرمّم من قبل الباي محمد الكبير. بلبراوات بن عتو: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779-1797م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001-2002، ص: 217.

التراجم الشيء الكثير عنها سوى أنه تعلم ونشأ بإقليم الراشدية⁽¹⁾ أين تلقى تعليماً وتكويناً فقهياً وأدبياً تماشياً وشروط الفقيه العالم⁽²⁾. كما التقى المشرفي في بلده وفي رحلاته الطويلة إلى بلاد الشام ومصر والإسكندرية والحجاز مع كثير من أهل العلم والأدب وأئمة الحديث والفقه، وارتاد حلقات العلم التي كانت تعقد هناك، وسمع من مشاهير العلماء أمثال الشيخ محمد بن محمد بن عربي البناني المكي والشيخ محمد بن محمد شهاب الدين الأنصاري المدني ومحمد بن حسن الميقاتي الإسكندري، والشيخ مفتاح الدين أبي حسام الدين البخاري، وغيرهم من علماء عصره نهل منهم علم العروض والحديث والبلاغة والأدب والأصول والأحكام الصغرى⁽³⁾.

وسلّطت أغلب هذه المصادر الضوء على حياة المشرفي الوظيفية ففي شبابه اشتغل بالتدريس في معهد الشيخ محي الدين في زاوية القيطنة⁽⁴⁾ بواد الحمام، حيث حظي بتقدير وإجلال ممّن عاصره من العلماء والفقهاء، وبالتالي فقد أخذ عنه عدد من التلاميذ أشهرهم أبو راس الناصر المعسكري الذي قال عنه: "انتفع به خلق كثير شريعة وحقيقة.... له دروس حسنة بسلس عبارة وألف إشارة"⁽⁵⁾.

(1): إقليم الراشدية: ويطلق عليه أيضاً اسم الوطن الراشدي وإقليم بني راشد، يمتد هذا الإقليم نحو خمسين ميلاً من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلاً، أراضيها صالحة للزراعة بالرغم من تنوع الجهات به بين سهول ومرتفعات. ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص: 26.

(2): يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 143. ولتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: أحمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، 33.

(3): ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999، ص: 412.

(4): القيطنة: هي قرية على بعد 28 كلم من مدينة معسكر مقر أسرة الأمير عبد القادر، اختطها جدّه المصطفى بن المختار سنة 1206هـ/ 1792م. وفيها درس مجموعة من العلماء أمثال: عبد القادر المشرفي وأبو راس الناصر المعسكري وغيرهم من الطلبة المتخرجين من هذا المعهد، وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة بوحنيقية. أنظر: حمادو بن عمر: أبو راس الناصر المعسكري وكتابات التاريخ 1155-1238هـ/ 1737-1823م، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2002-2003، ص: 67.

(5): أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: حياة أبي راس الذاتية والعلمية، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص: 53.

كان للتجارب التي مرّ بها المشرفي في تحصيله العلمي الذي اغترفه ونهله من أشهر الشيوخ في وقته دور في تولّيه العديد من الوظائف، فقد أسّس لنفسه زاوية دينية ومعهدًا علميًا بمسقط رأسه الكرط أصبح في مستوى زاوية معهد القيطنة⁽¹⁾ حيث كان مواظبا على بثّ العلم لدرجة أن قال فيه أبو حامد المشرفي: "... فلا تخلوا زاويته من مائتي طالب في بعض الأوقات..."⁽²⁾، فتخرّج عليه عدد كبير من الطلبة من أشهرهم الشيخ أبي راس الذي يذهب إلى أنّ شيخه المشرفي: "أتقن علومًا جمة وبرع فيها... وأقرّ له كلّ من رآه بالبراعة والكفاية"⁽³⁾. كما كان متضلّعًا في علم الأصول والفروع بدليل ما ذكره أبو حامد المشرفي: "فقد كان في علم الأصول والفروع بحر لا يجارى"⁽⁴⁾. وهذا دليل قاطع من أن المشرفي كان يحظا بمكانة علمية ومعرفية عالية⁽⁵⁾.

أمّا عن وفاته، فقد اجتمعت المصادر التاريخية على أنّها كانت سنة 1192هـ/ 1778م⁽⁶⁾، تاركًا المشرفي وراءه العديد من المؤلفات اعتبر بعضها مرجعًا أساسيًا لجميع من جاؤوا بعده، بدليل ما ذكره تلميذه أبوراس الناصر: "يخضعون له القضاة وسائر الولاة ويهابونه، ويرجعون إليه ودأبهم تعويلهم عليه في مهمّات الدين"⁽⁷⁾. فقد أمضى معظم حياته في التأليف وطلب العلم والكتابة في تاريخ الدول التي قامت قبل الإسلام، والدول التي قامت خلال المرحلة الإسلامية، وعلى العموم فقد كان لعبد القادر المشرفي عدّة كتب متنوعة غاية بالأهمية لعلّ أبرزها النظم الذي سماه "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط"، والرسالة المسماة "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهرا من الأعراب كبنّي عامر". هذا وقد ترجم السيد بودان (M. Bodin) كتاب بهجة الناظر إلى اللغة

(1): يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص: 231.

(2): أبو حامد المشرفي، ياقوتة النسب.... "المصدر السابق"، ص: 292.

(3): أبو راس الناصر: فتح الإله... "المصدر السابق"، ص: 53.

(4): أبو حامد المشرفي: ياقوتة النسب.... "المصدر السابق"، ص: 292.

(5): عبد الحق شرف، "صورة الأسرة المشرفية بمنطقة معسكر في كتابات يحي بوعزيز"، ضمن مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد: 01، جوان 2011، ص: 135.

(6): محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص: 198.

(7): أبو راس الناصر، فتح الإله... "المصدر السابق"، ص: 53.

الفرنسية، وصدرت هذه الترجمة سنة 1924م في المجلة الإفريقية (Revue Africaine) (1).

المبحث الثاني: صورة العيون والجواسيس عند عبد القادر المشرفي:

يُعدّ كتاب بهجة الناظر لعبد القادر المشرفي من أقدم الكتب التي تناولت فنّ التجسس بصورة خاصة انتهى من كتابته عام 1764م أي قبل الخروج النهائي للإسبان بثمانية وعشرين سنة⁽²⁾، حيث ورد في الكتاب استعراض تاريخي لعمل العيون والجواسيس بحاضرة وهران خلال العهد العثماني، كما عالج فيه المشرفي تركيبة جهاز العيون والجواسيس والتي شملت قبائل بني عامر⁽³⁾ حيث ذكر أصلهم وموطنهم وأعمالهم تجاه سكان وهران طيلة استيلاء الإسبان على المدينة.

وعلى العموم فلقد قدّم المشرفي في كتابه هذا عرض عام حول القبائل التي تعاونت وتحالفت مع الإسبان بذكره لنسبها والمجال الجغرافي الذي تسكنه، وتقديره لسكانها بعدد القرى وهم على التوالي: كرشتل، شافع، حميان، غمرة، قيزة، أولاد عبد الله، أولاد علي والونازرة، والتي اعتبرها عبد القادر المشرفي بمثابة الجواسيس والعلماء لصالح الإسبان⁽⁴⁾. لقد تحدّث عبد القادر المشرفي من خلال استعراض عام لعمل الجماعات والقبائل المحلية النصرانية -بنو عامر- وأهم أنشطتهم، وصفاتهم وواجباتهم، كما تعرّض إلى الرأي

(1): Marcel Bodin : "L'agrément du lecteur : Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader El- Mecherfi", Revue Africaine, N° : 65, 1924, pp : 193-260.

(2): هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الإسباني: قراءة في مواقف التحالف والولاء، أطروحة دكتوراه في تاريخ الدولة العثمانية وغرب المتوسط 1492-1912م، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2020-2021، ص: 19.

(3): قبائل بني عامر: نسبة إلى جدهم الأول عامر بن صعصعة، من القبائل التي استوطنت المغرب الأوسط، وهم من بني هلال، نسبة إلى عامر بن زغبة بن ربيعة بن نهيك ابن هلال بن عامر بن صعصعة، يقال أن أول من أتى بهم إلى غرب الجزائر الملك الزياني يغمراسن المؤسس الأول للدولة الزيانية. لتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000، ص: 56.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص-ص: 05-06. (من مقدمة المحقق).

الشرعي لعمل العيون والجواسيس في الإسلام، والحكم الشرعي بالنسبة لمن وقف من بني عامر بجانب الإسبان وبقي متعاوناً معهم، أو تاب توبة نصوحاً وندم على ما بدر منه⁽¹⁾.

وعلى أي حال فقد وصف عبد القادر المشرفي القبائل المتحالفة مع الإسبان بالعرب المنتصرة وبالفرقة الضالة والكفار المنافقين والمرتدين والفاسقين والزنادقة وعبداء الأصنام والأوثان⁽²⁾. وحث المسلمين على الاحتراس من قبائل بني عامر الذين ارتدوا عن الإسلام. وقد أحصى عبد القادر المشرفي ثلاثة بطون لبني عامر تتكوّن من تسعة وسبعين قبيلة في الجزائر أغلبها قبائل وهرانية⁽³⁾، ولعلّ أهم بطون بني عامر الذين تحالفوا مع الإسبان ومارسوا الجوسسة هم:

1- قبيلة شافع:

يذكر عبد القادر المشرفي في كتابه بهجة الناظر: "كان عددهم نحو العشرين دواراً، وكانوا أهل نجدة وبأس شديد وقتال عنيد ورأي وتدبير، وحيلة وتشمير، فتقوى بهم الإسبان بغاية التمكين، واشتدّت شوكتهم على المسلمين، واعتدوا بهم وصاروا مشتدين وأكثروا من شنّ الغارات على الأقربين والأبعدين، فكانوا عيونهم الباصرة وجنودهم الهائلة المتكاثرة الماكرة، واخوتهم النصحاء وأحباءهم النجباء..."⁽⁴⁾.

من خلال ما ذكره المشرفي يتّضح بأن قبيلة شافع⁽⁵⁾ قد تحالفت مع الإسبان وكانوا ضمن شبكة الجواسيس بجميع أصنافها وشتى أنواعها وأوصافها، وأنّهم كانوا الركيزة الأولى التي اعتمد عليها الإسبان في أعمالهم العسكرية الكبيرة والصغيرة خصوصاً في توجيه الغارات على العرب وتقديم لهم الأخبار⁽⁶⁾، فهم أعينهم الحقيقيون الذين تطلع بهم على خفايا

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 39.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 12.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 14، 17.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 39.

(5): قبيلة شافع: هي بطن من بطون بني عامر من قبائل العرب، ينسبون إلى جدهم شافع بن عامر بن زغبة الهلالي، وتنقسم شافع بدورها إلى أربع قبائل هي: الشقارة، وأولاد مطرف ويقال لهم المطارف، وأولاد صالح ويقال لهم الصوالحية، وأولاد بالغ. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 14.

(6): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 26.

مطوية وخبايا مزوية، ما كان لهم أن يصلوها ويخلصوا إليها لولاهم، وهم يد الإسبان الطولي التي لم تزل تمتد إلى أعماق البيوت وأدغال الغابات وشواهد الجبال ومنعرجات الوديان وظلمات الكهوف لتقدم لهم هدفا، فهم الجنود المجندة الذين بثهم الإسبان ليتخللوا صفوف المسلمين ويتوغلوا بينهم نكاية ومحاربة⁽¹⁾.

كما أن الأدياء Adalid⁽²⁾ من قبيلة شافع بدورهم أدوا واجبا تجسسياً من خلال تعرفهم على الطرق والمسالك، فقد كان الإسبان يستعينون بالأدياء لإرشادهم الطرق ولا سيما في أيام الخطر شرط أن يكون لهم أجر حسن أي مبلغ مالي، وفي هذا المقام يقول المشرفي: "وصاروا شجي في حلق الدين باحتكام، وقذى في عيون الإسلام، وحلاوة في قلوب الكفرة اللئام، فكم غزوا بهم على المسلمين وكم سبوا بهم من المؤمنين، وكم جاسوا بهم خلال الديار، وكم سلخوا بهم صعاب الأقطار"⁽³⁾.

2- قبيلة حميان:

حميان هي إحدى القبائل التي ينسب أفرادها إلى جدهم حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى ابن زغبة الهلالي⁽⁴⁾، كانوا من جملة جند الإسبان، وصفهم عبد القادر المشرفي بالقبيلة العظيمة وكان لهؤلاء حميان رغبة شديدة في التتصر، كان عددهم نحو الثلاثين

(1): Cazenave Jean, "Contribution à l'Histoire du vieil Oran", Revue Africaine, N° : 66, 1925, p : 356.

وينظر أيضا:

Don-Joseph de Aramburu, Oran et l'ouest Algérien au 18 siècle, présentation et traduction de : Korso et Epalza, Alger, Bibliothèque Nationale, 1978, p : 40.

(2): الأدياء: Adalid لقب أطلقه الإسبان على الدليل أو المستكشف الذي يعرف جيدا الطريق المؤدي للدوار أو القبيلة المعادية للجيش الإسباني، حيث يستطلع الطريق ويتقاضي الطرق الخطرة في طريق الذهاب والعودة إلى وهران. ويكون خبيرا جدا بتضاريس المنطقة وطبائع القبائل، للسير بالجنود بأماكن آمنة بعيدا عن الطرق التي يمكن أن يحصل فيها كمائن ضدهم، ومصطلح Adalid أصله من الكلمة العربية "الدليل" وتعني الشخص الذي يقود مجموعة من الأشخاص إلى منطقة ما، وعلى العموم يقود مجموعة من الجنود. ينظر: هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص، ص: 93، 94.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 26.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 26.

دواراً⁽¹⁾، واعتماداً على معلوماتهم وإرشاداتهم كانت كمائن الإسبان تُصَبّ للعثمانيين بعد أن يرصد الجواسيس وقت انطلاقهم، ويبلغوا عن ساعة تحرّكهم وعددهم وعدّتهم بدليل ما ذكره عبد القادر المشرفي: " فهم قبيل كبير، ولهم بسالة عظيمة، ومكيدة شديدة في الحروب، وفتك عظيم في الإسلام إذا ظفروا بأهله خفية وعلانية"⁽²⁾.

كما أنّ خطورتهم لا تكمن فقط في قدرة هاته القبائل الخفية على التغلغل والولوج إلى الأعماق، بل تعدّى الأمر ذلك لينضاف إليها قيام شيخ قبيلة حميان بتقديم المساعدة للإسبان ببناء قلعة مرجاجو المسمّاة ب: "سانتا كروز" التي تطل على وهران، وسبب ذلك أنّ باشا إيالة الجزائر إبراهيم باشا غزا وهران ووضع المدافع على جبل مرجاجو، وشرع في قصف المدينة سنة 1629م، لكنه فشل في دخول المدينة ومنذ ذلك التاريخ وقع للإسبان العناية بقلعة مرجاجو "سانتا كروز" لتحصين مدينة وهران، فقاموا ببنائها لكنهم واجهوا مشكلة انعدام المياه ولم يجدوا إلا مساعدات شيخ قبيلة حميان⁽³⁾ وفي هذا المقام يقول عبد القادر المشرفي: " كان أول من أتى لهم من جندهم ورعيّتهم بقرب الماء لأجل إقامته وتحصينه شيخ حميان بقبيلته... ويحكى في نفاقهم الشديد أنّ شيخ حميان هو الذي دبّر على الإسبانين في بناء برج مرجاجو تحصينا للمدينة"⁽⁴⁾.

وبالجملة فليس هناك حدٌّ أو ضابطٌ يتوقف عنده تجنيد الشخص في ممارسة التجسس واستخدامه لأغراضه، فالمعتبر في ذلك فقط هو قدرته على تحصيل المعلومة وإيصالها إلى الجهة التي اختار العمل معها، وهذا ما يُبين أنّ اعتماد الأعداء الإسبان عليها أكبر وأعظم من اعتمادهم على جيوشهم العسكرية العلنية، فمن المعلوم أنّ اختيار الشخص ليكون جندياً ضمن جيش من الجيوش وفي أيّ جناح من أجنحتها يعتمد على مواصفات ثابتة ودقيقة تؤهّله للقبول ليصبح بعد ذلك فرداً من أفرادها، سواء كانت تلك المواصفات عقلية، أو جسدية

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 27.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 27، 28.

(3): ذكر عبد القادر المشرفي أنّ شيخ قبيلة حميان تعرّض للقتل بعد أن أقدم الإسبان برميّه في بئر شديد العمق، وهذا دليل قاطع على نيّة الإسبان في التخلّص من الجواسيس بعد الحصول على خدماتهم. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 28.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 27، 28.

أو صحبة أو فكرية، أما جندي التجسس فيكفيه للتأهيل قدرته على الوصول إلى المعلومة المطلوبة منه ثم نقلها إلى الجهة المعنية، ولا يهم بعد ذلك أن يكون سليماً أم معاقاً، رجل قبيلة أم شيخها، توافقت الديانة والعقيدة معه أم تخالفت، بل كلما كانت حاله وأوصافه أبعد عن التشكيك ولفت الانتباه كان أنسب لممارسة المهمة وأقرب إلى تحصيل المقصود.

3- قبيلة غمرة:

غمرة هي أحد القبائل التي تنسب إلى جدها غمرة البربري، يرجع أصلهم من برقة ثم انتقلوا إلى المغرب، ومنها سكنوا بالحفرة وراء وهران بجوار قبيلة حميان، بلغ عدد دواويرها حوالي الستة تجمعت حول مدينة وهران، وقدمت العديد من الخدمات للإسبان بدليل ما ذكره عبد القادر المشرفي: "وهم أهل بأس شديد ورأي شديد، وقد نصرُوا الإسبانين نصرة شديدة على المسلمين، حتى كانوا لهم عضداً في كل شيء"⁽¹⁾.

4- قبيلة قيزة:

ذكر عبد القادر المشرفي أنّ هاته القبيلة كانت من جملة جند الإسبان بمدينة وهران، وهم من الأعراب يرجع نسبهم إلى جدّهم قيزة بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن ريان ابن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي، وهم فرقة من بني عامر كان مسكنهم بنواحي تارقة وبهم سمي الجبل الذي يقال له جبل قيزة وجيدزه، ثم بعدها انتقلوا وسكنوا في ضواحي تمزوجة بسهل مليّة جنوب سبخة وهران إثر مجيئ إخوتهم الونازرة⁽²⁾.

بلغ عددهم حوالي ثلاثة عشر دواراً حسب إشارة عبد القادر المشرفي، حيث مارسوا الجوسسة وتقديم الأخبار للإسبان مع مشاركتهم الإغارة على المسلمين حتى سُميوا باللصوص والمحتشون المغطسون⁽³⁾، والملاحظ أنّه أثناء اشتداد الحصار على الإسبان

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 28.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 28، 29.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 29.

يسكنون معهم ويقيمون في أبراجهم⁽¹⁾، ومع اشتغالهم ليلاً ونهاراً وقيامهم بمهامهم وأعمالهم بانتظام إخفاءً وإسراراً وتلقّيهم التوجيهات بل والأوامر كما يتلقّاها الجندي من قائده، إلاّ أنّهم لا يكاد يشعرون بهم أحد فتري آثارهم من تقتيل وأسر ومطاردات ولا ترى أعيانهم، فقد كانوا أهل بأس شديد ولهم قوة وبطش وفتك بالمسلمين بدليل ما ذكره عبد القادر المشرفي: "وكانت لهم رئاسة عظيمة مع الإشبانيين، ومحبة شديدة، ولا يتقون في الإسلام تقية، فكم لهم من تطلع على عورات الإسلام، والأخبار بهم للكفرة اللئام، وتطلع شديد وعتو مديد، وكم لهم من غارة على المسلمين، وسبي لهم وفتك بالمؤمنين"⁽²⁾.

5- قبيلة أولاد عبد الله:

ذكر عبد القادر المشرفي أنّ هاته القبيلة كانت من جملة رعية الإشبانيين بمدينة وهران المنظمسة البصيرة والبصر، وهم فرقة من بني عامر نسبة لجدهم عبد الله بن سفير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي. كان مسكنهم بوادي الثلاثاء من ملاتة جنوب مدينة وهران لينتقلوا بعدها إلى المطمر الأحمر بوادي مينا، حيث بلغ عددهم حوالي الستين دواراً فقدّموا المساعدات والإعانة للإسبان⁽³⁾.

لقد اعترف الشيخ عبد القادر المشرفي بقوتهم وبسالتهم، وذكر أنّ بطن من بطونهم كانوا مجنّدين إلى جانب الجيش الإشباني في الحملات التي يقوم بها ضدّ القبائل المناوئة له والحروب ضدّ العثمانيين، وخير دليل على ذلك قوله: "ولهم جولان عظيم بالأرض وبطش شديد ومكر عتيد، وآثارهم بالأرض تدلّ عليهم ولأولاد عبد الله نكاية شديدة للمسلمين فكان

(¹): ذكر عبد القادر المشرفي أنّ قبيلة قيزة كانوا يسكنون مع الإشبان في الأبراج، والفضاء الذي بصفحة مرجاجو بين برج اليهودي وبرج العيون Castillos Fernando الذي شيّده الإسبان لحماية العيون التي يسقى منها أهل البلاد. ينظر: المصدر نفسه، ص: 29. ولتفاصيل أكثر عن الموضوع يرجى العودة إلى: عبد القادر فكايير، الغزو الإشباني للسواحل الجزائرية وآثاره، دار هوم، الجزائر، د.ت، ص: 347. وأيضاً ينظر: دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإشباني والسلطة العثمانية 1509-1792م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013-2014، ص: 63.

(²): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 29.

(³): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 29، 30.

منهم المرجفون والمنافقون، والجالبون قلوب الناس للكفر والزنادقة، وليس لهم غيرة على الإسلام ولا لهم محبة إلا في عبادة الأوثان والأصنام، حتى أن من جملتهم الكافر أبو نصاييه أحد النصاصيب الذي قتل الفقيه باي مازونة السيد شعبان الزناتي عند باب وهران واجتز رأسه فلعنة الله من منافق وأخزاه فإنه مجرم فاسق⁽¹⁾.

يُفهم من هذا القول الذي ذكره عبد القادر المشرفي أنّ مقاصد الجواسيس متعددة ودوافعهم مختلفة لكن كلّها اجتمعت على حبّ المال⁽²⁾، فقبيلة أولاد عبد الله من أكبر القبائل التي تعاونت وتحالفت مع الإسبانيين، حيث شكّلوا قوة ضاربة إذ منحهم الإسبان امتيازات وخيّموا قرب أسوار مدينة وهران، كما أشار المشرفي إلى أنّ قبيلة أولاد عبد الله انفردوا عن غيرهم من القبائل الموالية للإسبان بصلتهم باليهود إلى جانب صلتهم بالعدو، وأنّهم تصاهروا مع اليهود والإسبان بقوله: "لقد أخبرني من أثق به من كرشتل أنه رأى العامري يقبل يد اليهودي فضلا عن النصراني من الجهتين تشريفا له، وأنهم تصاهروا مع اليهود والإسبانيين فلا ترى إلا العامرية في بيت الكافر تجول وأهلها في غاية الفرح"⁽³⁾.

6- قبيلة أولاد علي:

ذكر عبد القادر المشرفي أنّهم فرقة من بني عامر، يرجع نسبهم إلى جدّهم علي بن عامر ابن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي، كانت مساكنهم ببلاد ماخوخ "الثنية"، عُرفوا بقوّتهم وتقديمهم العون للإسبان⁽⁴⁾، وهم فرقة كبيرة تناهز السبعين دوارًا ولهم إزعان عظيم للإسبان،

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 30، 31.

(2): وللإشارة فقد أطلق اسم عرب دَمَلِيُون على قبيلة أولاد عبد الله التي هي بطن من بطون بني عامر، وسُمّيوا بهذا الاسم لأنّهم كانوا يطلبون من الإسبان إذا طلب منهم هؤلاء المشاركة في الحروب والحملات العسكرية التي ينظمونها ضدّ أعدائهم عشرة ملايين وهو عدد كثير، فيقول أحدهم للنصارى "دمليون" بمعنى أيّها الرّوم أعطونا عشرة ملايين كذا، أي عددًا كثيرًا فيه ألف ألف، ومنها نستنتج أنّ قبيلة أولاد عبد الله كانت تطلب المال مقابل المشاركة في الحرب. لتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى: الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار الجزائر ووهران وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 216.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 30.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 31.

وكانوا يغيرون بالليل والنهار على المسلمين بفرسانهم من الأعيان التي فاقت مائتي فارس فضلا عن المشاة⁽¹⁾، حيث شاركوا مع الإسبان في غزو قرية الكرط بنواحي مدينة معسكر العديد من المرات بدليل ما ذكره عبد القادر المشرفي: "وأولاد علي لهم بأس وأنافة، وكانوا أهل إعانة شديدة للإسبانيين، حتى غزوا بهم المرة بعد الأخرى على المسلمين بالكرط وغيره، ولقد كانوا أهل عدد وعدد، ونجدة وشدة ومدد"⁽²⁾.

ثم أشار عبد القادر المشرفي بأنّ السبب الرئيسي لقيامهم بعملية التجسس لصالح الإسبان هو الحصول على المال وحماية لأراضيهم ومصالحهم لا غير، فقد كانوا أشد إعانة للإسبان، وتقديم لهم كل ما احتاجوا إليه من التين والحشيش والحطب والسمن واللبن والعسل، والضأن والمعز والبقر والخيول والإبل والبغال والحمير حيث يقول: "ثم انه لم يكن أحد أشد اعتناء وإعانة للإسبانيين بكل ما يحتاجون إليه من التين والحشيش... من جميع الأعراب الداخلين تحت حكمهم مثل أولاد علي أخزاهم الله ولعنهم وأخلى منهم الأرض وصيرهم حطبا لجهم وبئس المصير فكانوا لا ينقطعون عنهم بذلك ليلا ونهارا رغبة لما لهم في ذلك من الثمن الكثير"⁽³⁾.

7- قبيلة الونازرة:

هم بطن من بطون أولاد عبد الله بن سقير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد ابن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة، يُنسبون إلى جدهم ونزار بن عبد الله بن سقير بن عامر الزغبى، وحسب إشارة عبد القادر المشرفي فهم فرقة ذات بأس شديد وحقد عديد على المسلمين، كانوا يتشكلون من ستة دواوير استقرت بوادي سنان بضواحي تيموشنت، لينتقلوا بعدها إلى نواحي تارقة فسكنوا

(1): وللإشارة فقد تحدّث عبد القادر المشرفي عن أحد فرسان قبيلة أولاد علي يدعى رايح ابن صولة نسبة لجدّه صولة بن يعقوب بن علي بن أعمر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف ابن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهاللي، وأولاده يقال لهم الصواللة كانوا أشدّ بأساً على المسلمين بوهران وإعانة للإسبانيين، واستمرّ هذا الفارس بتكثيف الغارات على المسلمين حتى قتله أهل قبيلة الحشم. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 31، 32.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 31، 32.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 36، 37.

بجبالها مع قبيلة قيزة، ثم انتقلوا مع قيزة وسكنوا بالجبل المطل على وهران في نواحي تمزوغة، كما استقرّوا بجبال ملاتة وسهولها⁽¹⁾.

هذا وقد أشار عبد القادر المشرفي في كتابه بهجة الناظر بأنّ قبيلة الونازرة كانوا أهل شجاعة وبسالة، ولمّا جاء الإسبان لوهران كانوا من جملة جنودهم المعتمد عليهم، منهم العيون والجنود، وقد اتّصفوا أيضا بالقوة والبأس وبتعاونهم مع الإسبان في تقديم المعلومات والأخبار حتى سُمّيوا بالزمالة⁽²⁾، وكان اليهود مكلفون بجباية الأموال من دواوير هاته القبيلة بدليل قول المشرفي: "ثم إن الونازرة وقيزة لم تسمهما الإسبانيون بما وسمت به غيرهما من الذل والإهانة كبني عامر حال صولة اليهود عليهم، وذلك أن يهود وهران كانت لهم صولة عظيمة على بني عامر، لكون الجباية كانت على يد اليهود دون الإسبانيين"⁽³⁾.

8- قبيلة كرشتل:

هم بطن من بطون قبيلة زناتة، من مغراوة من أولاد راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمن بن محمد الخير بن محمد بن خزر حفص بن صولات بن وزمار بن صقلاب بن مغراو بن يصليتين بن مسروق ويقال له زنات، يُنسبون إلى جدهم كرشتل بن محمد بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمن المغراوي⁽⁴⁾، وحسب إشارة عبد القادر المشرفي فهم فرقة ذات قوّة وشوكة بالرغم من ضعف عددهم، كانوا يتشكّلون من تسعين نواله، وأصل مسكنهم عند مصب نهر الشلف في البحر لينتقلوا بعدها إلى مزگران غربي مستغانم فمارسوا التجارة والفلاحة⁽⁵⁾.

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 35.

(2): وللإشارة فقد ذكر عبد القادر المشرفي حديثاً مفاده بأنّه كان للإسبان ترتيب في رعيّتهم ليحصل التعاند لهم في خدمتهم، مثل تقديم الونازرة على قيزة، وقيزة على حميان، وحميان على شافع...إلخ. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 36.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 35.

(4): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 12، 13.

(5): وممّا تجدر الإشارة إليه ما ذكره عبد القادر المشرفي، بأنّه كان للجواسيس من قبيلة كرشتل زوارق يسافرون فيها من مدشهرهم لوهران إذا اشتد عليهم الأمر، وسدّت عليهم الطرق البرية يحملون فيها للإسبان سائر الخضر ونحوها، وكان

هذا وقد أشار عبد القادر المشرفي في كتابه بهجة الناظر بأن قبيلة كرشتل قد قدّمت خدمات جليلة للمحتلين للإسبان استعصت عليهم، وأنها كانت من أشدّ القبائل تأثيراً لدى الإسبان رغم قلة عددهم، حيث كانوا من جملة جنودهم المعتمد عليهم، وبتعاونهم مع الإسبان في تقديم المعلومات والأخبار حول مضارب وتحركات القبائل المعادية لهم، بل وحتى المشاركة في عمليات الجيش الإسباني ضدّ القبائل الأخرى التي لم تدخل في طاعتهم⁽¹⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الإسبان قد أطلقوا اسم المغاطيس Mogtazes على قبيلة كرشتل، والذي عُمّم بعدها على كلّ القبائل التي تحالفت معهم وجلبت الأخبار لهم، حيث قام الشيخ عبد القادر المشرفي بشرح معنى التغطيس والمغطّسون، فذكر أنّهم كانوا يخطفون الناس من الدواوير المعادية للإسبان ويبيعونهم في سوق النخاسة بوهراّن قائلاً في هذا الصدد: "ويحكى أنهم غطسوا إمامهم الذي يصلي بهم، بأن باعوه للإسبانيين غفلة منه، وكيفية التغطيس أنهم يأتون بدوابهم للدواوير على صفة الحضر المتجولين بالدواوير البائعين للعطرية ومعهم منطقة من الجلود الفلالية، فإذا وجدوا خبراً جلبوه للنصارى، وإذا رأوا فرصة في الصغير أو الكبير أخذوه وجعلوا الجلود على فيه كي لا يتكلم وحملوه على دوابهم ومشوا به ليلاً لوهران، فيبيعونه للإسبانيين وينتفعون بثمنه وهذا دأبهم لعنهم الله وأخزاهم، وأخلى الأرض منهم"⁽²⁾.

ومن خلال هذا القول للشيخ عبد القادر المشرفي يُفهم بأنّ التغطيس عند قبيلة كرشتل هو سرقة الأشخاص من الدواوير وبيعهم في أسواق وهران عبيداً، وبأسعار زهيدة، على غرار التجسس لصالح الإسبان، وليتوسّع مفهوم التغطيس بعدها ليشمل القيام بأعمال حربية والتجنيد في صفوف الجيش الإسباني⁽³⁾.

الإسبان لا ينقطعون عنهم في البحر لأخذ ما يفتقرون إليه من عندهم. ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 14.

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 13.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 13، 14.

(3): هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص: 88.

كما يرى عبد القادر المشرفي أنّ سبب اندفاع قبائل بني عامر في أحضان الإسبان وطلب الحلف والمساعدة منهم هو الرغبة في الاستفادة من الحماية والامتيازات والإغراءات المادية، وضعف الإيمان لديهم والطمع في غرضهم الفاني، ممّا جعلهم يقبلون بمهادنتهم والعمل عندهم كجواسيس وعيون ضد المسلمين، حيث يقول: "لما استقل قدم الإسبانين بوهران انحاز إليهم طوائف من الأعراب الذين ضعف إيمانهم والعياذ بالله من ذلك فصاروا خدمة لهم، ومن جملة جيشهم وكثر بهم السواد على المسلمين فكانوا لهم عليهم أعوانا، وفي الدين الفاسد لهم إخوانا، فشتّوا بهم الغارات، وانتفعوا بهم فيما يحتاجونه من الدواب والأقوات"⁽¹⁾.

ولكنّ جند بني عامر وشدة بأسهم في الظاهر، ودخولهم تحت ذمة الكافر، وحصول الإهانة لهم والإذلال كعرب متتصرة مارسوا الجوسسة لصالح الإسبان، خاطبهم العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن القاضي على سبيل المعاييرة والإغراء في قصيدته الرائية، ظلّا منه الإقلاع⁽²⁾ قائلاً:

فمن مبلغ عني قبائل عامر	ولا سيما من قد ثوى تحت كافر
أناشدكم بالله ما عذر كلكم	لدى الله في وهران أم الخنازر
أذلّكم الجبار كيف رضيتم	بسبي العذارى من بنات الأكابر
فصرتم من جور البغاة كأنكم	يهود الجزا تعطونها في الأصاغر
وما منكم إلا خصي أذله	بميسمه النصراني يا آل عامر ⁽³⁾

وعلى حسب إشارة الباحث هاشمي بن براهيم فإنّ التجسّس يكمن في بيع المعلومات للإسبان لدرجة أنه تحدّث مفاوضات بين الجاسوس وبينهم على المبلغ المطلوب الذي يطلبه

(¹): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 12.

(²): ولإشارة فإنّ قبائل بني عامر التي مارسّت الجوسسة لصالح الإسبان لم تلتفت إطلاقاً لما قاله العلامة أحمد بن القاضي السجلماسي، بل زادهم خطابه النفور إلى الكوافر الفجور حسب قول عبد القادر المشرفي . ينظر: عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 34.

(³): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص، ص: 32، 34.

الjasوس مقابل البيع، وبعد ذلك يدرس الحاكم العام الإسباني هذه المعلومات في صحتها من عدمها، أمّا عن طريقة عمل الجاسوس فقد كان يندس ويتخفّى بين الناس ويجمع المعلومات الكافية عن الدوار أو القبيلة المعادية للإسبان فيُقدّم بعدها تفاصيل مضرب القبيلة وأماكن القوة والضعف بها، كما كان الجواسيس والأدلاء Adalids في مقدمة الجيش الإسباني لمسح الأرض أمام الجيش من أي كمين يمكن أن يتعرّض له. وممّا تجدر الإشارة إليه هو تعرّض الجاسوس للتصفية الجسدية رمياً بالسهم أو عن طريق إحراقه برميّه في فرن ساخن، حين يُقدّم معلومات خاطئة حول تموقع القبيلة أو الدّوار⁽¹⁾.

لقد قدّمت هذه القبائل خدمات متعدّدة منها الجوسسة والقيام بعمليات استكشاف لتحديد مضارب القبائل والدواوير المعادية للإسبان، وجلب المعلومات الكافية حول الدواوير المراد مهاجمتها، فلقد اعتمد الإسبان أسلوب التجسّس ضدّ أعدائهم ولا يمكنهم تنفيذ غارة la jornada إلّا إذا توفرت لديهم معلومات كافية حول تحرّكات أو مضرب الدوار المراد مهاجمته وعدد أفراد القبيلة وقوة تسليحهم، وأيضا المشاركة في الحروب والحملات العسكرية بجانب الجيش الإسباني، وتموين المدينة بمختلف السلع التموينية التي تحتاجها المدينة⁽²⁾.

وعلى العموم فقد نصرت هاته القبائل بعد ممارستها للجوسسة الإسبانين نصرة شديدة على المسلمين، حتى كانوا لهم عضداً في كلّ شيء بدليل ما ذكره شيخ الجماعة بالراشدية عبد القادر المشرفي قائلاً: "ثم إن هؤلاء الفرق الثمانية الضالة وهم: كرشتل، وشافع، وحميان، وغمرة، وقيزة، وأولاد عبد الله، وأولاد علي، والونازرة، لما اجتمعوا عند الإسبانين وصاروا على كلمة واحدة في الدفع والجلب، اشتد بهم عضد النصارى، وقويت شوكتهم، وكثر بأسهم على المسلمين...وليس للمسلمين فيه مطمع إلا من لجأ إلى حزبهم

(1): وللاشارة فقد كانت تنفذ عملية قتل الجاسوس قرب مدينة وهران بعد عودة الجنود الإسبان من الغارة الفاشلة نتيجة تعرّضهم لكمين مُحكم، سببه إرسال القبيلة المعادية للإسبان لشخص يزعم أنّه يُقدّم معلومات في غاية الأهمية حول قبيلة ما، لكنّها في الحقيقة معلومات مزيفة كان جند الإسبان يعتمدون عليها في خروجهم للغارات La Salidas أو Jornadas بالبالغة الإسبانية، الأمر الذي يؤدّي بهم للوقوع في كمين مُحكم من القبائل المعادية لهم. ينظر: هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص، ص: 92، 93.

(2): هاشمي بن براهيم، المرجع السابق، ص، ص: 89، 92.

وصار من رعيّتهم ودخل في حمايتهم وأدى لهم الجباية، وكان معينا لهم على مرادهم وصار يتجسس لهم الأخبار على المسلمين في السهل والأوعار⁽¹⁾.

ولا شكّ أيضًا أنّ ربط الإسبان لعلاقات مميّزة مع شيوخ قبائل بني عامر النافذة في المنطقة، قد وسّع من نفوذهم وزاد من حدّة هجماتهم وحروبهم على مدينة وهران، فقد جاء على لسان عبد القادر المشرفي قوله: " واشتدّ غزوه على المسلمين بهؤلاء الفرق الضالة، التي رغبت في غرضه الفاني، رقيق الدين منهم والجاني فنهكوا حرمة الإسلام غاية الانتهاك وصاروا لقنص أهل الإسلام حبائل أشراكا، فكانوا عيون العدو الذين يتطلع بهم على عورات المسلمين، وأعوانه الذين يشن بهم الغارات على الأبعدين، وهذا فعل الأعداء المرتدين، حيث جسروا العدو بخيلهم ورجلهم على اقتحام حال المسلمين ودورهم بكلهم وانتهاك حريمهم، وانتهاز الفرصة فيهم"⁽²⁾.

وانطلاقًا من هاته الممارسات الشنيعة مع العدو النصراني، أصدر الشيخ عبد القادر المشرفي فتوى إباحة دمّ قبائل بني عامر لممارستها الجوسسة لصالح الإسبان جاء في نصّها: "والحكم في هذه الفرقة إباحة مالها ودم رجالها والبالغين من ذراريها لمن ظهر بهم من المسلمين لكونها رداء، وأمّا صغار الأوائل فلا يقتلون ولا يكونون فيئاً للمسلمين... وفرقة منهم لجأت للمسلمين، وصارت تقاتل معهم العدو، غير أنها في الخفية تعلم العدو بأحوال المسلمين، وتأمّره بالثبات وتواعده بالرجوع عنده، إذا وجدت السبيل، والحكم فيها أنها فرقة الزنادقة يقتل كل من اطلع عليه منها وإلا فأمره إلى الله سبحانه وتعالى"⁽³⁾.

كما قام عبد القادر المشرفي بجهد مشكور في تحصين الهوية الأصلية الإسلامية بإعطائه العفو للقبائل التائبية، حقًا لدماء المسلمين وتشجيعًا للوحدة بينهم قائلا: "وفرقة منهم تابت لله تعالى، وأنابت من موالة العدو ومواصلاته وتركت الإعانة له ظاهرا وباطنا وندمت

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 37.

(2): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 37.

(3): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 39.

على ما صدر منها سابقا، والحكم فيها أنها واحدة من جماعة المسلمين إن لم يتقدم منها ما يبيح الدم⁽¹⁾.

الخاتمة:

لقد أظهرت نتائج الدراسة أنّ عمل عيون وجواسيس الإسبان بحاضرة وهران خلال العهد العثماني كان ممنهجاً وضمن إطار تنظيمي واضح، الأمر الذي أدى إلى بروز دوره في الصراع في تلك الفترة. فلقد اعتمد الإسبان أسلوب التجسس ضدّ أعدائهم، وكان لا يمكنهم تنفيذ غارة la jornada إلاّ إذا توفرت لديهم معلومات كافية حول تحركات أو مضرب الدوار المراد مهاجمته، وعدد أفراد القبيلة وقوة تسليحهم. كما برزت أهمية دور العيون والجواسيس في الصراع الاسباني العثماني في المعارك والأعمال الحربية، وحماية الأمن الداخلي وكشف المؤامرات، ومكافحة الأنشطة التجسسية المعادية، ومقدرتها على تحطيم الروح المعنوية لدى العثمانيين والقبائل والدواوير المعادية للإسبان وزعزعة استقرارهم.

المحاضرة رقم: 09: المصادر التركية المترجمة وأهميتها في دراسة التاريخ العثماني:

المبحث الأول: المصادر التركية المترجمة إلى العربية:

المطلب الأول: مفهوم الترجمة:

أ- لغة:

هي اشتقاق من الفعل (ترجم) وفق ما جاء في لسان العرب، ويقال "ترجم كلامه أي فسر بلسان آخر"، وقد وردت الترجمة بمعنى النقل "نقل الكلام من لغة إلى أخرى"²، فهي البيان والتوضيح للكلام المنقول من لغة إلى أخرى.

ب- اصطلاحاً:

تعني التعبير عن معنى الكلام في اللغة الأولى، بجميع معاني ومقاصد الكلام إلى اللغة الثانية، وبشير المصطلح العام في كلمة "ترجمة" إلى عملية نقل الأفكار والمفاهيم

(1): عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص: 39.

²-علي بن حسين الهنائي، المنجد في اللغة، مج1، دار عالم الكتب، القاهرة، 1988م، ص: 182.

والمضامين من لغة المصدر إلى لغة الهدف، سواء كانت في صيغة مكتوبة (مقروءة) أو منطوقة (شفهية)، ووردت الترجمة في الاصطلاح بمعجم المنجد بمعنى "نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى أخرى، مع الحفاظ على المرادف أي التكافؤ"¹.

وشاع عند العرب أي مفهوم الترجمة، جاء من التراث اليوناني واللاتيني القديم بقصد النقل والتحويل، وفي ذلك يقول الجاحظ: "وقد نقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونان، وحولت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسنا وبعضها نقص شيئا"².

أما الترجمة في العموم، فقد وردت فيها العديد من التعريفات التي يتطابق بعضها ويختلف بعضها، ولكن جميعها تتفق على فعل الترجمة وكيفية وتعبيراتها ومشاكلها بمختلف أنواعها.

فالترجمة تفسير الكلام بكلام آخر قد يكون باللغة نفسها، وقد يكون بلسان مغاير، ذلك أن اللغة ترجمان الإنسان عن نفسه، واللغة ترجمان الإنسان عن الكون، واللغة إلى جانب هذا وذلك ترجمان الإنسان عن الإنسان، ساعة يكون للواحد منها لسان غير الذي للآخر.³ ومن هذا المنطلق، حظيت اللغة بمكانتها المعروفة في إطار النشاط الفكري والعلمي الذي مارسه الإنسان منذ أن وجد على هذه البسيطة، فالترجمة هي عمل جانبي لأثر قديم بعكس التجارب والتطورات والتجديدات.

والترجمة بمعناها المتخصص، تعني النقل من لغة بأقصى قدر من الأمانة إلى لغة متلقية، وهذا عمل يتطلب قدرة وسعة إطلاع وتمكن من لغتين على الأقل، ليتسنى تحقيق مفهوم الترجمة بمعناها الدقيق، ومع ذلك لا يوجد تعريف مشترك للترجمة بل يكاد من الصعب أن يكون هناك تعريف واحد، حيث إن للترجمة نظريات وأنواع مختلفة.

المحاضرة رقم: 10: نصوص نموذجية من المصادر التركية المعربة:

المبحث الأول: كتاب البحرية لبيري ريس:

¹-المرجع نفسه، ص: 185.

²-طه عبد الرحمن، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1995م، ص، ص: 363، 369.

³-عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة: بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994م، ص: 113.

يعد "كتاب البحرية" للجغرافي والبحار التركي بييري ريس، أحد المصادر المهمة والمميزة في تاريخ وجغرافيا البحر المتوسط، وبحر إيجه والأدرياتيك، بالإضافة إلى المضائق المائية التي كانت مسرحاً لنشاط البحرية العثمانية والتشكيلات المساندة لها. وقد قام بييري ريس بتأليف هذا الكتاب القيم، وإهدائه للسلطان سليمان القانوني باقتراح من الصدر الأعظم ابراهيم باشا، الذي اكتشف موهبته أثناء مرافقته له إلى مصر. وبالإضافة إلى احتواء الكتاب على معلومات غزيرة في الجغرافيا البحرية، وعلوم البحار وعلم الخرائط البحرية والطبوغرافيا البحرية، اشتمل أيضاً على وصف دقيق لمختلف السواحل والجزر والموانئ، والمدن والمنشآت المدنية والعسكرية المطلة على مختلف البحار التي جابتها السفن العثمانية، كالبحر المتوسط وإيجه والأدرياتيك والبحر الأحمر والمحيط الهندي والأطلسي، وكذا المضائق المالية كالدرنديل والبوسفور، وجبل طارق وباب المندب وهرمز. وعليه فإن هذا الكتاب لا يعتبر مصدراً لتاريخ البحرية العثمانية فحسب، بل مصدر أساسياً لجميع الدول والشعوب والجماعات الدينية والثقافية التي استوطنت السواحل، والتي ورد ذكرها في "كتاب البحرية"¹.

المطلب الأول: الجزائر في المصادر العثمانية:

وبالنسبة للجزائر، فقد خصص لها بييري ريس عدة صفحات في كتابه هذا، حيث أورد فيه معلومات مهمة عن موانئ هنين والمرسى الكبير، ووهران وتونس والجزائر ودلس، وبجاية وعنابة وغيرها.

والملاحظ في هذه المعلومات تميزها بالأصالة والجدية، لكونها قلما توجد في غيرها من المصادر التي وصلت إلينا.

إن التميز الذي انفرد به "كتاب البحرية"، جعل منه مصدراً أساسياً يحظى بأولوية المراجعة بالنسبة لتاريخ الجزائر في مطلع القرن 16م، وبات من اللازم ترجمة ما كتبه المؤلف عن الجزائر لمعرفة وجهة نظر المؤرخين والجغرافيين الأتراك في الجزائر، وتاريخها خلال المرحلة العثمانية من تاريخها².

¹ محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، شركة الأصالة لنشر والتوزيع، د، ط، الجزائر، 2018، ص: 29.

² -محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية المرجع السابق، ص: 30.

وبالنظر إلى السبق الزمني والموضوعي الذي يحظى به هذا الكتاب، رأينا أنه من الواجب التعريف به وبمؤلفه بييري ريس.

المطلب الثاني: التعريف بالجغرافي والبحار التركي بييري ريس peri reis :

اسمه الكامل أحمد محي الدين بييري ريس أو "بييري الريس"، وهو اللقب العربي الذي كان يطلقه العثمانيون على القائد البحري ويعني رئيس البحرية، ولكن بعد ذلك استبدل بـ: "القبطان" المحرفة من الكلمة الإنجليزية "كابتن".

بييري ريس هو جغرافي، ورحالة، ومستكشف ومحارب، وأديب إسلامي عاش بين القرنين الخامس عشر، والسادس عشر الميلاديين، ويعتبر أحد أهم القادة العسكريين في تاريخ الدولة العثمانية، على جمل الكثيرين به¹.

ولد بييري ريس في مدينة غاليبولي الواقعة غرب إسطنبول، على الجانب الأوروبي من بحر مرمرة، وكانت هذه المدينة بمثابة المركز الرئيسي، للقوات البحرية الإسلامية.

التحق الطفل "محي الدين الريس" بأحد الكتاتيب التي كانت مرموقة لتعليم الفتية القرآن الكريم والعلوم الشرعية، حتى أتم 12 عاما من عمره، ونشأ نشأة دينية حيث كانت المساجد وبيوت العلم تملأ المدينة، وعندما انتهى من تعليمه كانت طبيعة "جاليبولي" بدورها قد انعكست على حياته، حيث التحق بالأسطول العثماني لكي يبدأ حياته في البحر كقائد عسكري، ونشأ في كنف عمه القائد كمال ريس، كان عمه عملاقا من عمالقة التاريخ، فتتلمذ على يديه الكثير من العلماء، وعندما استدعى السلطان "بيزيد الثاني" ابن السلطان "الفتاح" الريس كمال، سلمه تكليفا جهاديا لمحاولة إنقاذ، كما أنه كان يشارك عمه بكافة المعارك العثمانية البحرية، التي استخدمت المدافع لأول مرة في التاريخ، وأصبح أول وأعظم رسام للخرائط في العالم، والتي أفادت المسلمين في معاركهم وفتوحاتهم، وسط الهجمات الصليبية الشرسة ضد المسلمين.

صرح بييري ريس بأنه اشترك في فتح "إينه بخت INEBAHT" التي تعرف عند الباحثين العرب والغربيين باسم "ليانت أوليانتو"، وفي السنة الموالية اشترك كمال ريس في انزال بحري في جزيرة رودس، وقام بعدة حملات على الجزر التابعة لها، وفي عام 1511م

¹-بييري ريس، www.turkpress.com ، 22:18.

بينما كان كمال ريس يهم بالتوجه إلى رودس للإغارة عليها، إذ هبت عاصفة بحرية شديدة أدت إلى إغراق سفينة كمال ريس، ووفاة هذا الأخير¹.

المطلب الثالث: كتاب "البحرية" الموضوع والأهمية:

1- اسم الكتاب وموضوعه:

اختار المؤلف اسم "كتاب بحرية"، هكذا وردت تسميته باللغة التركية التي كانت تكتب بالحروف العربية، وتتطق وفق قواعد الفارسية، ويكون معناه بالعربية "كتاب البحرية". ومن خلال عنوانه، وما صرح به المؤلف في مقدمة الكتاب بعد ما حمد الله فيها وصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا للسلطان سليمان خان بالنصر له ولأولاده بالصحة والعافية، وللدولة العثمانية بالدوام إلى يوم الدين، شرع في الحديث عن موضوع الكتاب بشكل مباشر، فخصص مئة صفحة الأولى من كتابه، والتي صاغها نظاما، للحديث عن اتجاه الرياح والعواصف، وتعريف البوصلة والخرائط وكذا مفتاح الخريطة، بالإضافة الحديث عن بحر الصين والمحيط الهندي والأطلسي، كما تطرق بشكل مقتضب إلى سبب الكشوفات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون، وأهم الحملات التي قاموا بها في البحار الواقعة في مجال كشوفاتهم الجغرافية.

وعندما شرع في إعطاء التفاصيل الجغرافية والوصفية للمناطق التي أراد التحدث عنها في كتابه تحول إلى النثر، تفاديا للإطالة حينما أوضح ذلك في مقدمة الكتاب². فشرع في الحديث عن المناطق الساحلية الشرقية كالخليج العربي وسواحل شرق إفريقيا، ثم عرج إلى الحديث عن سواحل المحيط الأطلسي الشرقية وغرب إفريقيا، ومن هناك انتقل إلى الحديث عن بحر إيجه وجزره وقلاعه وحصونه، وتحدث أيضا عن بحر الأدرياتيك، فذكر مختلف الجزر الموجودة فيه وكذلك سواحل وحصونه، سواء تلك التي كانت خاضعة للدولة العثمانية أو التابعة للبندقية أو البابوية، أو غيرهما، ثم انتقل في القسم الثاني من الكتاب إلى الحديث عن سواحل البحر المتوسط، مثل سواحل فرنسا وإسبانيا والمغرب العربي ومصر وبلاد الشام والسواحل الجنوبية للأناضول، لينتهي إلى سواحل وجزر بحر إيجه.

2- سبب تأليف الكتاب:

¹ -محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 31.

² -محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص، ص: 42، 43.

بيّن المؤلف في مقدمة كتابه سبب تأليفه لهذا الكتاب، عندما أشار إلى أنه كتبه لكي يتحف به السلطان سليمان القانوني، وعلّل ذلك بأن كتابه كهذا لم يسبق لأحد أن قام بتأليفه من قبل¹.

3- أهمية كتاب بيرى ريس:

تكمن أهمية الكتاب في كونه اشتمل على معلومات مهمة جدا تتعلق بعلوم البحار والجغرافيا البحرية، وعلم الخرائط والجغرافيا التاريخية، ومن ثم فإن هذا الكتاب يعد مرجعا أساسيا للباحثين في تلك العلوم، فضلا عن قيمته التاريخية كمصدر أساسي للفترة التي عاصرها المؤلف أو التي سبقتها، إذ أنه دون فيه مشاهداته وما قرأه أو سمعه من البحارة الذين عمل معهم وعلى رأسهم كمال ريس، إضافة إلى استفادته من مصادر أخرى بلغات مختلفة لم تصل إلينا².

كما يحتوي الكتاب معلومات قيمة عن بحر الصين، والمحيط الهندي والخليج العربي وسواحل الحبشة في إثيوبيا وجزر القمر، والبحر الأبيض المتوسط، ومضيق هرمز، وجزر الأنتيل، واكتشاف أمريكا والبحارة البرتغاليين الذين أبحروا إلى المحيط الهندي. وزيادة عن ذلك، فإن هذا الكتاب يعتبر دليلا مرشدا للبحارة والملاحين الذين يهتمهم كثيرا معرفة اتجاهات الرياح وسرعتها، وسير العواصف وأوقات هبوب العواصف، والموانئ التي يمكن اللجوء إليها عند الضرورة، وكذا مواقع النجوم التي يهتدون بها في عرض البحر في ذلك العصر³.

4- أهم محتويات الكتاب ومنهج المؤلف في ترتيبه:

يتكون الكتاب من مقدمة وقسمين رئيسيين وخاتمة. في المقدمة بيّن المؤلف سبب تأليفه للكتاب، وموضوعه والمنهج الذي سلكه في تأليف الكتاب، معتذرا في الأخير عن أوجه القصور التي قد تلاحظ فيه. في القسم الأول: بالإضافة إلى تناوله للمباحث الأولية التي أشرنا إليها آنفا، أعطى معلومات دقيقة عن السفن والعواصف والرياح وأسماء النجوم والخرائط ومفاتيحها، كما أعطى معلومات مهمة عن البحار والمحيطات، كالمحيط الهندي الذي سمّاه بحر الهند وبحر

¹- محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 43.

²- محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 43.

³- كتاب البحرية لبيري ريسي، عربي بوست، www.arabi poste.com ، 21:18.

الصين والخليج العربي الذي سمّاه خليج العجم، وسواحل إفريقيا الشرقية التي سماها البحر الفرنجي. وكذا السواحل الشرقية للمحيط الأطلسي المطلّة على إفريقيا الغربية الذي سمّاه بحر المغرب، وأيضاً جزر الأنتيل التي سمّاهها بحر الأنتيل، وتحدث أيضاً بشكل مختصر عن الكشوفات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون ودوافعها كل ذلك ذكره نظماً، وبعدما فرغ من ذلك انتقل إلى الحديث بطريقة نثرية عن تفاصيل المواقع التي حدّدها، ورسم لكل منها خريطة مفصّلة¹.

ويجب التنويه هنا بأن المباحث التي تطرق إليها الكتاب تعد في غاية الأهمية ولا يمكن الترجيح بينها، لكون كل منها يعالج منطقة أو موضوعاً معيناً يهم الباحثين من التخصصات في مجالات متنوعة، إلا أنه بالنسبة للمهتمين بالدراسات التاريخية الخاصة بالمنطقة العربية في العصر الحديث، يمكن الإشارة أن مجموعة من المباحث ذات العلاقة المباشرة بالولايات العربية في العصر العثماني، ومن هذه الموضوعات:

- سبب الكشوفات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون.
- بحر الحبشة (القرن الإفريقي).
- حملات البرتغاليين ونشاطهم في عرض المحيط.
- بحر الهند.
- خليج العجم (يعني به الخليج العربي).
- بحر درموز (بالنظر إلى محتوى النص نجده يقصد سواحل شرق إفريقيا والقرن الإفريقي).
- سواحل مقديشو (الصومال).
- سواحل البحر الزنجي (يقصد به سواحل شرق إفريقيا الوسطى).
- جزر قامور (لعله يقصد جزر القمر) بالنظر إلى اسم الجزر، بالإضافة إلى أن بعض أهله يقولون بأنهم من أصول عربية حسبما ذكر بييري ريس.
- بحر الغرب بالنظر إلى المحتوى نجده لا يقصد به المغرب العربي أو المغرب الأقصى، بل يعني به المحيط الأطلسي وسواحل غرب إفريقيا².

¹-محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 45.

²-محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 46.

-منتوجات بحر المغرب وغرائبه، موقع بحر الأنتيل، حصون سلطانية ، مدينة سلانيك وسواحلها، والموانئ المحيطة بها، جزيرة أغريبوز agriboz وجزيرة ميديلي midilli ، حصون فوجة Foça وسواحل إزمير، جزيرة صاقيز، جزيرة إسبرطة، جزيرة رودس، خليج البندقية وحصونه والجزر المتناثرة فيه، الحصون والقلاع التي كانت تابعة للبابوية.

أما القسم 2: من الكتاب، فقط احتوى على الشطر الأهم من الموضوعات المتعلقة بشكل مباشر بالأحداث التي عاشتها المدن الساحلية التي كانت تابعة للدولة العثمانية، أو كانت ذات صلة بها، مما كان واقعا في الأناضول أو الروملي، وفي ذلك كلها ذكر المؤلف معلومات في غاية الأهمية تخص كلا من رودس ومالطا وصقلية وكورسيكا وبيزا، وجينوة، ومارسيليا، بالإضافة إلى السواحل العربية في المغرب والمشرق، وذلك على النحو التالي:

- حصون شبه جزيرة غاليبولي، جزيرة صقلية، مالطا، سردينيا، جزيرة كورسيكا، سواحل روما، مدينة بيزة، سواحل جنوة، مدينة نيس وما جاورها من المدن، مدينة مارسيليا والمناطق المجاورة لها، مدينة بلنسية وبرشلونة وسواحلها، سواحل قرطاجة وبلنسية، مدينة جبل الفتح (جبل طارق) والمدن المجاورة لها والقريبة منها، قلعة سبتة حصون تيطوان وباديس، حصون مليلة وهنين، المرسى الكبير ومدينة وهران، حصون بيرشاك وشرشال، حصون الجزائر ودلس، مدينة بجاية، وقلعة بجاية، وقلعة بلد العناب قلعت بنزرت، مدينة تونس، حصون وموانئ الحمامات، سوسة، المنستير، حصون المهدية، وصفاقس، جزيرة جربة، طرابلس الغرب، السواحل القريبة من قرى مستلة خليج مصراته، ميناء رأس ستين، سواحل سلوم، مدينة الإسكندرية، ميناء أبو قير سواحل النيل، رشيد، دمياط، غزة والرملة، عكا، صور ، بيروت، طرابلس، الشام مدينة اللاذقية، سواحل إسكندرون، سواحل طرسوس، جزيرة قبرص، جزيرة كربة، جزيرة كريت، وفي خاتمة الكتاب أورد المؤلف عدة أبيات ختم بها كتابه ألغز فيها تاريخ تأليفه له، بقوله:

انهيته فبلغت مرادي وقلت تاريخه من فيض الهادي¹.

المبحث الثاني: مذكرات خير الدين بربروس:

¹-محمد دراج الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص، ص: 47-50.

تعد هذه المذكرات أحد المصادر التركية البالغة الأهمية، التي تؤرخ للمرحلة الأولى من الوجود العثماني في الجزائر، وغيرها من سواحل شمال إفريقيا، وقد أملاها خير الدين بربروس بناء على أمر من السلطان سليمان القانوني، الذي رغب في أن يكتب له خير الدين كتابا يشرح له فيه تفاصيل نشاطه البحري، منذ خروجه هو وأخوه "أروج رئيس" من مسقط رأسه بجزيرة ميديلي، إلى أن تمكن من إعادة فتح الجزائر وطرد الإسبان منها، وتأسيسه لدولة موحدة عاصمتها مدينة الجزائر.

وتعتبر هذه المذكرات مصدرا أساسيا وأصليا يؤرخ للنصف الأول من القرن 16م من تاريخ الجزائر، وذلك بالنظر إلى كون الأحداث الواردة فيها شهادة حية لأحداث وقعت على سمع وبصر خير الدين بربروس، عاشتها بنفسه أو سمعها ممن شاهدها أو شارك فيها. وقد أدرك المؤرخون والباحثون الأتراك والغربيون أهمية هذه المذكرات فتأهوا بتنقيصها ونشرها، وترجمتها إلى مختلف اللغات الأوروبية منذ القرن 18م، إلا أنها ظلت مجهولة لدى المؤرخين العرب عامة والجزائريين خاصة إلى أن قام أحد الباحثين بترجمة نسختها المهدبة إلى اللغة العربية، ونشرها في الجزائر عدة مرات اعتبارا من سنة 2010م¹.

المطلب الأول: اسم الكتاب وسبب تأليفه:

لم يضع خير الدين بربروس عنوانا لمذكرته، ولا توجد تسمية موحدة للنسخ المتناثرة في مختلف المكتبات، بل يلاحظ الباحث بأنها تحمل أسماء عديدة، وضعها النساخ أو من يملكون تلك النسخ، وعلى هذا فإننا نلاحظ أن بعض النسخ كتب عليها اسم "فتح نامة" أي "رسالة الفتح"، وبعضها باسم "فتح نامة خير الدين" أي "رسالة فتوحات خير الدين"، وبعضها باسم "فتح نامة جزائر" أي "رسالة فتح الجزائر"، بينما يحمل بعضها اسم "غزوات خير الدين بربروس" أو "غزوات خير الدين باشا"، وهو الاسم الأكثر شهرة وانتشارا².

وأما عن سبب تأليف المذكرات، فيعود إلى أن السلطان سليمان القانوني قام بإعطاء خير الدين أمر أو فرمان سلطاني، فكان هذا كالاتي: "كيف خرجت أنت وأخوك من جزيرة ميديلي وفتحتم الجزائر، ما الغزوات التي قمتم بها حتى الآن؟ ... دون كل هذه الأحداث

¹ - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 63.

² - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 70.

بدون زيادة أو نقصان في كتاب، وعندما تنتهي منه أرسل إلي نسخة لأحتفظ بها في خزانتي".

قام خير الدين بإملاء هذا الكتاب على زميله ورفيق دربه في الجهاد البحري الشاعر الأديب السيد علي المرادي، منذ خروجه من جزيرة ميديلي إلى أن تمكّنوا من حكم الجزائر وطرّد الإسبان منها، وتصدي لحملاتهم على سواحل الجزائر، وانقاذهم لآلاف المهاجرين الأندلسيين من مذابح الإسبان¹.

المطلب الثاني: التعريف بصاحب المذكرات:

1- بارباروس خير الدين باشا (1466-1546):

إنه قائد البحرية الرائع الذي جعل الدولة العثمانية حاكمة للبحار، اسمه الأصلي "خضر"، وقد سمّي "خير الدين" لكثرة أعماله الخيرية وخدماته الكبرى، التي قام بها في سبيل الدين والدولة في عهد "سليمان القانوني". أما كلمة "بارباروسا" التي تعني صاحب اللحية الحمراء فقد أطلقها الأوروبيون.

والده هو الفارس الشجاع "يعقوب آغا"، من إحدى الأسر التي أسكنها الفاتح في "ميديلي"، كان لخير الدين ثلاثة إخوة هم إسحاق وعروج وإلياس².

2- الموصفات الشخصية لخير الدين:

كان خير الدين بربروس يتمتع بشخصية ذكية ولبقة، بالإضافة كونه شجاعا وحكيما، وذو إرادة قوية أيضا، كما أنه كان جريئا ويتعامل بلطف مع من حوله، ممّا جعله محبوبا من قبل الأشخاص المحيطين به، بالإضافة إلا أنه كان متواضعا³.

المطلب الثالث: محتوى الكتاب وموضوعه:

شرح صاحب المذكرات مباشرة في سرد الأحداث التي جرفته وإخوته لاقتحام عالم الجهاد البحري، ويستمر في سرد الأحداث وتطورها انطلاقا من جزيرة ميديلي، مسقط رأس

¹-خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، ط1، 2010، ص: 21.

²-عثمان نوري طوباش، العثمانيون: رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة"، دار الأرقم (د-ط)، استنبول، 1438هـ/2016م، ص: 389.

³-خير الدين بربروس، أحد أشهر قادة الأساطيل العثمانية، <https://mawdoos.com>، 00.14.

الإخوة بربروس، ليتوقف قليلا في شبه جزيرة رودس، حيث كان عروج أسيرا عند فرسان القديس يوحنا، لينتقل بعد ذلك إلى سلطان مصر ودخول عروج في خدمته قبل أن ينتهي به الأمر إلى الرسو في جزيرة جربة، حيث يلتحق به أخوه خير الدين، فيقرران الاتصال بالسلطان الحفصي في تونس الذي أقنعه بأن يسمح لهما في الرسو في ميناء حلق الوادي، ويتخذة قاعدة لجهادهما على أن يدفعوا إليه خمس الغنائم.

ومن تونس تتلاحق عمليات الجهاد البحري لتبلغ ذروتها بالاستقرار في الجزائر، وما رافقها من حركات تمرد وعصيان، تولى قيادتها والتحريض عليها الزعماء المحليون، بتحريض من الإسبان، وسلاطين بني زيان في تلمسان وبني حفص في تونس.

وخلال ذلك كان خير الدين يسرد بتفصيل دقيق غزواته البحرية ضد السفن والسواحل الإسبانية أو التابعة لها والمتحالفة معها، وكذا حملات الإسبان على المراسي الجزائرية. ولم يغفل خير الدين الحديث عن تطور علاقاته بالدولة العثمانية، وإعلان تبعيته للسلطان العثماني باعتباره خليفة المسلمين، وما واكب ذلك من تقارب في الرؤى والمواقف السياسية، الأمر الذي أفضى إلى تتويج ذلك الولاء بتعيين خير الدين قائدا للأسطول العثماني حاملا لقب "قبودان داريا".

فأثبت خير الدين أهليته في معركة بروزة على السواحل الإيطالية سنة 1538م، تلك المعركة التي كانت بين الأسطول العثماني والتحالف الصليبي بقيادة البحار الجنوبي أندريا دوريا¹. فكان من أثر ذلك الانتصار، أن تمكن العثمانيون من فرض سيطرتهم على البحر المتوسط أكثر من ثلاثين عاما.

وأسهب خير الدين في الحديث عن محاولة إمبراطورية شرلكان غسل عار هزيمته في بروزة، بتحضير حملة كبيرة تحت قيادته لغزو الجزائر واحتلالها سنة 1541م، مستغلا غياب خير الدين، ليمنى مرة أخرى بهزيمة منكرة على يد حسن باشا بن خير الدين باشا، الذي كان غائبا عنه في الجزائر، هذه الهزيمة التي دفعت الملك الإسباني إلى اعتزال

¹ -أحمد طاهري، "القيمة التاريخية لمذكرات خير الدين بربروس ودورها في كتابة تاريخ الجزائر العثماني"، مجلة تاريخ العلوم، المجلد: 05، العدد: 03، أوت 2020، ص: 361، ص: 370.

السياسة، والاعتكاف في أحد الأديرة ليموت بعد ذلك ببضعة أشهر من شدة القهر، حسبما أشار إلى ذلك خير الدين في مذكراته¹.

بعد هذه الحملة بقليل تتوقف المذكرات تقريبا عند سرد الحوادث التي تلتها، لأن خير الدين كان قد عاد إلى استانبول، ولم يرجع إلى الجزائر سوى مرة واحدة، وذلك سنة 1543م ليقود منها حملة بحرية على فرنسا، إلا أنه لم يشر إليها في مذكراته لأنه كان قد فرغ من إملائها حسبما يبدو².

المطلب الرابع: القيمة التاريخية لمذكرات خير الدين بربروس ودورها في كتابة تاريخ الجزائر العثماني:

تكتسي المذكرات الشخصية أهمية بالغة في الكتابة التاريخية عامة وتاريخ الجزائر خاصة، لكونها مادة خام تنطوي على العديد من الأحداث التاريخية، التي يمكن من خلالها إنارة درب الباحث للوصول إلى الحقيقة التاريخية النسبية.

ولما كان للتاريخ العثماني حلقة مهمة من التاريخ الجزائري، فقد كان لمذكرات القائد التركي خير الدين بربروس، مكانة في أوساط صنّاع التاريخ، لكونها شهادة حيّة لأحداث عصره، حيث كانت له مساهمة في صنع القرار السياسي والعسكري أيام الحرب والسلم بين الخلافة العثمانية، والممالك الأوروبية والدولة الجزائرية³.

من هذا المنطلق تبدو أهمية هذه المذكرات في كتابة التاريخ العثماني، خاصة في مراحله الأولى في مختلف المجالات:

1- المجال العسكري:

تعد هذه المذكرات من أهم المصادر العثمانية التي تشير إلى التاريخ العسكري البطولي للبحرية العثمانية بالمتوسط، حيث جعل خير الدين لهذه الأخيرة، فصولا هامة من تاريخ حياته فداءا للخلافة العثمانية، إضافة لكون هذه المذكرات حصيلة هامة لمسيرته الجهادية،

¹-خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، ط1، 2010، ص، ص: 10، 12.

²- محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 74.

³- محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 74.

التي بدأها بإشارته إلى فرقة فرسان السباهية، وولوع الأخوين منذ الصغر بركوب البحر، خاصة عروج الذي أخذ على عاتقه حماية السفن التجارية خاصة القادمة من الهند. والظاهر أنّ الأخوين قد مارسا الغزو البحري بالمتوسط خاصة قرب جزيرة جربة "التونسية"، خاصة خير الدين الذي اشترى لنفسه سفينة، كما أنهم مارسوا تجارة الأسرى بالمتوسط، ونظرا لاستقرارهم بالمنطقة، فقد تمكنوا من ردع العديد من المحاولات للسيطرة على بجاية وأسر سفنهم.

والملاحظ من خلال هذه المذكرات، أنّ خير الدين قد أشار إلى التجهيزات العسكرية للسفن فكل سفينة بها مطبخ، ونظام غذائي منظم يقوم على تقديم اللحم مرتين بالأسبوع، في حين تكون الحرية للجند في الشراء لمن لا يرغب في هذا النظام.

كما كان لبلاد الأندلس نصيب وافر من حياة خير الدين، حيث تم نقل العديد منهم إلى شمال إفريقيا خاصة تونس والجزائر، والتي بلغت على حد ما ذكره إحدى وعشرين حملة لإنقاذ مسلمي الأندلس¹.

وذلك بتوصيات من السلطان العثماني سليمان القانوني الذي زود خير الدين بستة وعشرين سفينة للجهاد البحري، ويضيف أن انتصارات الأتراك بالمتوسط دفعت سكان الأندلس بالثورة على الإسبان. ومن هنا فإن هذا الدعم العسكري والمعنوي من طرف الأستانة (الباب العالي بتركيا)، قرّر السلطان العثماني غزو إسبانيا بتكليف خير الدين بذلك، ومن أشهر المعارك معركة بروزة التي انتهت بانتصارات العثمانيين، ما مكنهم من السيطرة على المتوسط مدة ثلاثين عاما تقريبا، ويذكر أن من أسباب انتصار الأتراك: طول المدافع العثمانية، سرعة الالتفاف عند الأسطول العثماني، الألبسة الخفيفة للجيش العثماني، عكس جند أوروبا المدججين بالدروع الثقيلة ناهيك عن قوة الإيمان بالله لدى جنده².

2- المجال الاقتصادي:

لا تكاد تخلو مذكرات خير الدين من عدة إشارات اقتصادية، ترتبط بالمجال التجاري البحري العثماني وعائداته المالية على خزينة الدولة، لذا يعد الجهاد البحري الذي يعتمد على

¹ - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 286.

² - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 287.

الإغارة وفرض الإتاوات على السفن ومصادرة الأملاك، أهم مصادر اقتصاد آل عثمان في العصر الحديث.

وهنا فقد أشار خير الدين إلى النظام الإقطاعي الحربي الذي اعتمدته الدولة في مكافأة القادة من جندها، ومنها والده يعقوب الذي تحصل على أرض إقطاعية بمدينة ميديلي، كما نوه إلى ممارسته للتجارة رفقة أخيه عروج في البحر المتوسط، خاصة منطقة طرابلس الشام (لبنان حاليا) لزيادة الربح المالي، ونظرا لذلك فقط ربط علاقات تجارية مع مختلف أطراف المجتمع، خاصة أهل الذمة من اليهود والنصارى بجزيرة رودس¹.

ويضيف مذكرا أكثر من مرة إلى العملة العثمانية أيامه والمسماة "أقجة"، إضافة إلى ممارسة تجارة العبيد بجزيرة رودس، حيث بيع عروج كعبد لصاحب خير الدين لفك أسر ب 800 أقجة، على أن من أهم أساليب التجارة في المعاملات هي المقايضة، حيث استبدل خير الدين القمح بالشعير، وتوفير بعض المنتجات التي تنعدم بمدينته خاصة الخيول والبغال، والظاهر أن انتقال خير الدين إلى تونس عمل على تنشيط التجارة بالأسواق التونسية، نتيجة ارتفاع العمل البحري وإقباله على تجديد الأسطول، ناهيك عن سيطرته على العديد من السفن المحملة بالسلع ومنها: القمح، العسل، الزيتون، الجبن، الحديد، كما مارس بيع الأسرى، حيث باع حوالي مائة وخمس وثمانين جذافا، قدرت قيمة الفرد منهم خمسمائة دينار، مع دفعه للرسوم الجمركية على هذا النوع من البضائع، ولعل ارتفاع أجور البحارة لديه، دليل على الثروة المالية التي كوّنوها الأخوين من عمليات الجهاد البحري، حيث بلغت أجرة البحار أيامها 90 دينارا للفرد الواحد والرؤساء مائة وخمسة وتسعون 195 دينارا².

3- المجال الاجتماعي:

يفيدنا خير الدين بربروس بالأوضاع المحيطة بعائلته البسيطة كنموذج مصغر من الأسر الأرستقراطية العثمانية في مدينة ميديلي، حيث أشار إلى بدايات استقرار والده بجزيرة ميديلي بعدما كان جنديا في فرسان السباهية وامتلاك أسرته لأرض إقطاعية منحت لهم من السلطان محمد الفاتح كما نوه بأصول أمه التي ترجع إلى إحدى بنات الجزيرة، وأوصاف والده الذي كان شجاعا وأنيق المظهر وإخوته الأربعة، والمستكشف من خلال هذه المذكرات

¹ - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 290.

² - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 290.

أن خير الدين حاول إظهار نوع من التكافل الاجتماعي مع الفئات الفقيرة، خاصة بتونس من خلال توزيع الغنائم، إضافة إلى تزويج العزّاب وإقامة الختان الجماعي، وتوزيع الثياب المخيطة ورفع المستوى المعيشي للسكان برفع الدخل الفردي، ناهيك عن توزيع السلع المصادرة من السفن الأوروبية مجاناً على الفقراء أو تقديم الهدايا لصاحب تونس¹.

4- المجال الديني:

عمد خير الدين إلى الإشادة بأخيه عروج في الكثير من الأحيان، ومنها إقبال عروج على التشبث بالله لما كان بالأسر ودعوته ليخلّصه من ذلك، ورفضه التخلي عن دين الإسلام بعدما عرضت عليه الديانة المسيحية. لذا فإننا نلمس ذلك من خلال تشجيع السلطان العثماني لعروج في ضرورة إصلاح سفنه لمواصلة الجهاد البحري، كما برز حبه لوطنه وإيمانه بالرجوع إلى الأصل الأول بعد رحلة شاقة من الجهاد، وربما كانت الدعوات مباركة التي يطلبها من الأخ الكبير إسحاق دليل على ميله للآخرة دون حياة الدنيا².

5- المجال الإداري والتنظيمي:

أشار خير الدين إلى طبيعة المراسلات التي يتواصل بها مع الأستانة عن طريق الأوامر السلطانية المسماة بالفرمان، كما نوّه ببعض القادة الذين تولّوا بعض الولايات، ومنهم الأمير قرقود الذي سيطر على أنطاكية، وهو الابن الثالث للسلطان بايزيد الثاني، والأخ الأكبر للسلطان سليم الأول، والذي اشتهر بحماية البحارة الأتراك.

6- المجال الثقافي:

أما في المجال الثقافي، فنجد أن خير الدين قد أشار إلى خزانة الكتب التي كان يمتلكها سليمان القانوني، والتي وضعت بها المذكرات بطلب منه نظراً لكونه شغوفاً بالقراءة، والاطّلاع على أمجاد الأتراك³.

المبحث الثالث: تحفة الكبار في أسفار البحار لحاجي خليفة أو كاتب جلبي

يعتبر كتاب تحفة الكبار في أسفار البحار للعلامة الموسوعي والمؤرخ ورجل الدولة حاجي خليفة، أو كاتب جلبي أول كتاب في تاريخ البحرية العثمانية، أراد به مؤلفه أن يؤرخ

¹ - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 291.

² - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 298.

³ - أمحمد طاهري، القيمة التاريخية لمذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص، ص: 361، 370.

للمعارك البحرية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار خلال القرن 16م، والنصف الأول من القرن 17م حتى سنة 1656م.

وقد خصّص المؤلف حوالي (60 صفحة) من كتابه للحديث عن الجزائر، اعتمد فيها بشكل أساسي على ما ورد في مذكرات خير الدين بربروس حسبما صرح بذلك بنفسه، وأضاف إليها ما وقع تحت يده من مصادر لم يشر إليها.

ونظرا لأهمية هذا الكتاب رأينا أنه من الضروري إدراجه ضمن هذه الدراسة، جاعلا منه نموذجا للكتابة التاريخية العثمانية خلال القرن 17م.

هذه الكتابة التي تميزت بأنها دوّنت من طرف كبار الموظفين الذين جمعوا بين العلم والإدارة والعسكرية، على أمل أن يتسنى في إضافة نماذج أخرى من الكتابات التاريخية التي ألّفت من طرف شخصيات علمية لا تقل أهمية عن هذه التي تمّ اختيارها في هذه الدراسة.

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف ومكانته العلمية:

هو العلامة الموسوعي التركي الذي لمع نجمه في القرن 17م، اسمه الحقيقي مصطفى واسم والده عبد الله، اشتهر بلقب: حاجي خليفة وكاتب جلبي، ولد في استانبول سنة 1609م وتوفي بها سنة 1657م، تعلّم في مدرسة أندرون Enderun الخاصة بإعداد الكوادر الإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية. تولّى عدة مناصب في الجيش العثماني، وشارك في العديد من الحملات العسكرية في مناطق مختلفة من العراق ضد الصفويين¹.

لم تمنعه خدمته في الجيش من تلقّي العلوم المختلفة، عندما كان يعود إلى استانبول، ولأجل ذلك التحق بدروس العالم قاضي زاده أفندي الذي تأثّر به كثيرا، كما حضر دروس عالم العصر صاحب الفضائل الشيخ الأعرج مصطفى أفندي²، وقد خصّ هذا الأخير كاتب جلبي بعناية خاصة، لتميّزه عن غيره من طلابه.

وفي أثناء وجوده في ديار بكر خلال إحدى الحملات في شرق الأناضول، لقي العديد من العلماء، واستفاد منهم من خلال جلسات المناظرة التي كان يعقدها معهم في سنة 1635م.

¹ -محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص، ص: 117، 119.

² -أنظر ملحق رقم 3

ترك كاتب جلبي الخدمة في الجيش ليتفرغ بشكل كامل للعلم والمعرفة، وأنفق ما جمعه من مال وما ورثه عن والده لاقتناء آلاف الكتب، كما شرع في تدوين أسماء الكتب التي شاهدها خلال وجوده في حلب عند الصّحّافين، واهتم بتقيد كتب التاريخ والطبقات والتراجم على وجه الخصوص لشغفه بقراءتها، فلم تأت سنة 1636م حتى كان كاتب جلبي قد فرغ من قراءة معظم تلك المصنّفات.

هذا وقد أعطى كاتب جلبي أهمية كبيرة للدراسات التاريخية والبيبلوغرافية، ولتوسيع معارفه التاريخية تمكّن من الاطّلاع بشكل واسع على المصادر التاريخية، فقد ذكر بأنّه في أثناء تأليفه "فذلكة" راجع 1300 مصدرا، وأعاد هذا التصريح عند حديثه عن كتابه "تقويم التواريخ".

بالإضافة إلى اهتمامه بالدراسات التاريخية، اهتم كاتب جلبي أيضا بالجغرافية واعتنى بها عناية خاصة، وإدراكا منه لتفوق الجغرافيين الغربيين واليونان على المسلمين في هذا العلم، ألّف كتابه "جهانومة" (أي صورة العالم) لاستدراك هذا النقص.

نال كاتب جلبي اهتماما كبيرا لدى الباحثين الأتراك والغربيين على حد سواء باعتباره أحد نوابغ القرن 17م، ومما يدلّ على ذلك اعتناؤهم بكتابه "كشف الظنون في أسامي الفنون"، باعتباره كتابا موسوعيا ومرجعا أوليا في الدراسات الشرقية، ولا غرابة أن تترجم العديد من مؤلفاته إلى مختلف اللغات العالمية.

وبعد حياة حافلة بالدراسة والبحث، توفي كاتب جلبي في سنة 1657م، ودفن في المقبرة المجاورة لجامع زيرق أو زيرك باستانبول.

المطلب الثاني: أهم مؤلفاته التاريخية:

ترك كاتب جلبي العديد من المؤلفات ذات القيمة العلمية الكبيرة في مختلف العلوم، وبخصوص الدراسات التاريخية التي خلّفها نشير إلى أهم مؤلفاته:

1- فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار، المعروف باختصار ب: "فذلكة التواريخ".

2- تقديم التواريخ¹.

¹ - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 119.

- 3- تاريخ ملوك آل عثمان.
- 4- فذلكة (النسخة التركية).
- 5- تحفة الكبار في أسفار البحار.
- 6- ارشاد الحيران إلى تاريخ اليونان والروم والنصارى.
- 7- سلم الوصول إلى طبقات الفحول.
- 8- جهانومة.

9- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

المطلب الثالث: التعريف بالكتاب: تحفة الكبار في أسفار البحار:

تحدث فيه مؤلفه عن أهم المعارك البحرية التي خاضتها الأساطيل العثمانية في مختلف البحار منذ القرن الخامس عشر حتى عصر المؤلف، وقد نشر الكتاب في جزأين، كل منهما مكوّن من عدة فصول.

الجزء الأول: يتكون من مدخل وتسعة فصول

المدخل: أورد فيه المؤلف معلومات جغرافية تتعلق بالبحار والمحيطات، معطيا أهمية خاصة لسواحل البحر المتوسط وإيجة والجزر الواقعة فيهما مثل جزيرة المورة، بالإضافة إلى سواحل ألبانيا والبوسنة والجمهورية الإيطالية وفرنسا وإسبانيا.

الفصل الأول: خصّصه للحديث عن الأساطيل العثمانية، والفتوحات التي قامت بها، ونماذج مختصرة عن المعارك التي وقعت منذ منتصف القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر.

الفصل الثاني: خصّصه للحديث عن الحروب العثمانية في البحر المتوسط خلال عصر خير الدين بربروس، وهنا نلاحظ بأنه خصّص حوالي 60 صفحة من الكتاب للحديث عن الجزائر، ذكر بأنه اعتمد فيها على مذكرات خير الدين بربروس، وأنّه ينقل ما ورد فيها ملخصاً¹.

ومن أهم المباحث التي تناولها في هذا الفصل ممّا له علاقة بالجزائر:

- غزوات عروج وخير الدين.

¹-حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق: محمد حرب، ترجمة: تسنيم محمد حرب، ط1، دار البصائر، للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ماي 2017، ص: 219.

- محاصرة بجاية وفتح جيجل.
- قدوم عروج إلى الجزائر.
- هجوم أساطيل الكفار والقبائل البدوية على قلعة الجزائر.
- فتح تنس.
- فتح تلمسان.
- استيلاء حسن باي على تلمسان.
- مقتل الأسرى بالجزائر.
- هزيمة سلاطين تونس وتلمسان.
- الاستيلاء على تلمسان للمرة الثانية.
- تمرد ابن القاضي.
- هجرة خير الدين إلى جيجل.
- غزوات خير الدين في جيجل.
- الحرب والسلام مع سلطان تلمسان عبد الله.
- موضوع حصن الجزيرة.
- الاستيلاء على الحصن.
- غزوة أيدين رئيس.
- ظهور أندريا دوريا وغارة خير الدين.
- فرار أندريا دوريا والمعركة في البر.
- استيلاء أندريا دوريا على قورون وتمرد سلطان تلمسان.
- أحوال الموريسكيين في إسبانيا.
- مخادعة أندريا دوريا واحتياط خير الدين.
- اعتقال الأسرى الكفار وإعدامهم.
- وفود خير الدين على السلطان العثماني.
- سفر خير الدين إلى حلب.

الفصل الثالث: خصّصه للحديث عن الحوادث التي وقعت في أثناء تولّي خير الدين

لقيادة الأسطول العثماني، ومن أهم الموضوعات التي تطرّق إليها:

- الأحوال البحرية في أثناء تولّي خير الدين باشا لقيادة الأسطول العثماني.
 - الغزوات الأولى لخير الدين باشا¹.
 - استيلاء الكفار على قلعة تونس بعد معركة شديدة.
 - استيلاء خير الدين على جزر البندقية.
 - هدايا خير الدين المرسلّة إلى السلطان.
 - حملة خير الدين الثالثة.
 - معركة خير الدين الكبرى.
 - انهزام الكافر وفراره.
 - غارة الكفار على حصن نوبا.
 - حملة ملك اسبانيا على الجزائر، وصمود حسن باشا.
 - طلب فرنسا مساعدة الدولة العثمانية وتدخل السلطان.
- الفصل الرابع: خصّصه للحديث عن غزوات قادة الأسطول العثماني بعد خير الدين، وظهور بيالة باي.**
- الفصل الخامس: غزوات بيالة الباي.**
- وفي هذا الفصل تحدّث عن بعض الموضوعات ذات العلاقة بتاريخ الجزائر العثمانية، وغيرها من بلدان المغرب العربي في بداية القرن 16م.
- الفصل السادس: حول غزوات علي باشا.**
- الفصل السابع: حول قادة الأساطيل العثمانية وغزواتهم لجزيرة كريت.**
- الفصل الثامن: شرح أسباب الخروج لغزو جزيرة كريت.**
- الجزء الثاني: قسّمه إلى عدة أقسام أهمها:**
- القسم الأول: التعريف بأهم قادة الأساطيل العثمانية حتى عصر المؤلف.**
- القسم الثاني: حول التشكيلات البحرية ونظمها وقوانينها.**
- القسم الثالث: غزوات الأسطول العثماني في البحر واللوائح المنظمة لذلك.**
- القسم الرابع: اللوائح المنظمة لغزوات البحر.**

¹-حاجي خليفة ، نفس المصدر السابق، ص: 225.

القسم الخامس: أنواع السفن ورياس البحر وعمال الموانئ.

القسم السادس: مالية الأسطول العثماني.

القسم السابع: حول غزوات البحر ونصائح البحارة¹.

التوضيحات: اشتملت على الهوامش التوضيحية التي ذيلها ناشر الكتاب.

القاموس: اشتمل على العديد من المصطلحات التاريخية الواردة في الكتاب، مرتبة

على حروف المعجم.

المطلب الرابع: أهمية الكتاب:

مهما كانت المآخذ التي يمكن أن يلاحظها الباحث عند تدقيقه في الكتاب، إلا أن ذلك لا ينقص من قيمته كمصدر مهم في تاريخ البحرية العثمانية، فضلا عن كونه أحد المصادر التركية التي تؤرخ للبحرية العثمانية في المغرب العربي، وعليه فإنه جريء أن يأخذ هذا المصدر مكانته اللاتقة به لدى الباحثين.

هذا وتزداد أهمية تحفة الكبار في أسفار البحار بالنظر إلى تميز مؤلفه، فقد جمع بين صفتين نادرا ما تجتمع في غيره من المؤرخين، وهما كونه أحد موظفين الدولة العارفين بخباياها، وكونه رجل علم وثقافة موسوعية متنوعة، مكّنته من الإمساك بزمام البحث التاريخي. وفضلا عن ذلك فإن المؤلف قد عاصر الوجود العثماني في الجزائر، ولا شك أنه كان على دراية بمجريات الأحداث عن قرب بحكم إقامته في استانبول، وقربه من أصحاب القرار ورجالات الدولة، التي كان واحدا منهم.

ولا تكمن أهمية الكتاب في جانبه المعرفي والمعلومات هذا فحسب، بل تميزه بسلسلة الأسلوب ووضوح المنهج، فقد كتب بلغة تركية خالية من التكلف والتعقيد، وبطريقة في غاية الدقة والتنظيم.

ولأهمية الكتاب، فإن معرفة التاريخ العسكري والسياسي للجزائر خلال المرحلة العثمانية من تاريخها، يبقى ناقص ما لم يترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ليكون في متناول أيدي الباحثين المهتمين بتاريخ الجزائر الحديث.

¹ -حاجي خليفة، نفس المصدر السابق، ص: 240.

كما أدرك الغرب أهمية هذا الكتاب، حيث قامت منظمة اليونسكو بترجمته ونشره باللغة الإنجليزية بمناسبة الذكرى 40 لوفاة مؤلفه كاتب جلبي، فليت المنظمات العربية أو الوطنية المهتمة بالعلوم والثقافة تأخذ بزمام المبادرة، وتقوم بترجمة الكتاب ونشره باللغة العربية ليكون بين يدي الباحث والقارئ العربي¹.

المبحث الرابع: مصدر تواريخ آل عثمان للطفي باشا، المترجم محمد عبد العاطي محمد.
المطلب الأول: التعريف بالمؤلف:

هو لطفي عبد المعين الملقب بلطفي باشا، ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ ميلاده، وإن كان مترجم الكتاب يرجح أنه ولد عام 1488م، مستدلاً على ذلك بكونه عين في القصر السلطاني عام 1508م وهو في العشرين من عمره، وهو أحد أبناء الدوشيرمة (النصارى) الأرناؤوط الذين جيء بهم زمن السلطان بايزيد الثاني، وعند وصوله إسطنبول شرع في تعلم المعارف وأجاد العربية والفارسية وقضى في ذلك سنوات، وبعدها التحق بعدة وظائف داخل القصر السلطاني، وأخذ يشق طريقه سريعاً فعين والياً على سوريا ثم على الروملي، وشارك في الحملات العسكرية على بلغراد ورودس وتبريز وبغداد.

كما خرج مع خير الدين باربروس في حملته على جنوب إيطاليا وجزيرة قورفة، وهو الذي وجه اهتمام السلطان سليم الأول إلى أهمية تقوية الأسطول العثماني، وبذل جهوداً كبيرة في هذا الصدد، وقد تزوج من شقيقة سليمان القانوني بن سليم الأول، وتعين في منصب الصدارة العظمى عام 1539م، إلا أن السلطان عزله بعد عامين ونفاه، فعكف على القراءة وتفرغ للتأليف ومصاحبة العلماء والشعراء، حتى توفي عن عمر يناهز 65 عاماً².

وقد اشتهر لطفي باشا بخصلتين، الأولى تدينه وورعه حتى وصفه أحد معاصريه وهو (سهى باشا) بأنه: "صاحب حياء وأدب تزينه الاستقامة ويتحلى بالتدين، لم تعرف الدولة العثمانية منذ ظهورها وزيراً مسلماً متديناً وقوراً مثله".

¹ - محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، المرجع السابق، ص: 137.

² - لطفي باشا، تواريخ آل عثمان، ترجمة: محمد عبد العاطي محمد، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2018، ص، ص: 23، 26.

والثانية ثقافته ومعارفه التي جسدتها جملة مؤلفاته، التي تنوعت ما بين التاريخ والفقه والسياسة والفلسفة والتصوف وعلم الكلام، والتي كتبها باللغتين العربية والتركية، ومن أشهر مصنّقاته التركية:

- **آصاف نامه:** وهي رسالة في شؤون الحكم والسياسة، ضمّنها خلاصة خبرته السياسية والإدارية، قدّم فيها لما ينبغي أن يكون عليه الوزراء في إدارة شؤون الدولة والرعية. **كتاب تنبيه الغافلين وتأكيدهم:** وهو كتاب ديني، يتعلّق ببعض الأمور الدينية كالعلم والإيمان.

كتاب أمور مهمات: وهي رسالة في الطب.

ومن مصنّقاته العربية:

- زبدة المسائل في الاعتقادات والعبادات.
- لطائف الكنوز في لطائف الرموز في الأحاديث الأربعين.
- خلاص الأمة في معرفة الأئمة¹.

المطلب الثاني: محتويات الكتاب:

يتناول مصدر تواريخ آل عثمان الأحداث والوقائع التاريخية للدولة العثمانية منذ النشأة حتى عام 1553م، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية.

القسم الأول: تحدث فيه المؤلف عن حياته وآثاره ودواعي تأليف الكتاب، ومما ذكره في ذلك عن سلاطين آل عثمان "أن عقيدتهم طاهرة ونقية، وهم المسلمون السنّة الذين تزيّنوا بمكارم الأخلاق"، ومن ثمّ حقّ عليه أن يؤرّخ لهؤلاء السلاطين العظام.

القسم الثاني: تناول فيه المؤلف الحديث عن نشأة الدولة العثمانية حتى عصر السلطان بايزيد الثاني، وقد اعتمد المؤلف في هذا القسم على مصادر رئيسية هي : تاريخ

¹ - لطفی باشا، المصدر السابق، ص: 124. ينظر: رامي البناء، الدين والسياسة في الدولة العثمانية، قراءات في فكر الصدر الأعظم لطفی باشا، مركز التاريخ العربي للنشر، 2022، ص: 65، 133.

كازيده، تواريخ الفردوسي، تواريخ مسكويه، تاريخ ابن جرير الطبري ، تواريخ آل سلجوق، وطبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي¹.

القسم الثالث: يبدأ من نهاية عصر بايزيد أي من عام 1508 م إلى عام 1541م، واعتمد فيه المؤلف على كل ما رآه وسمعه وشارك فيه، وهو أكثر أجزاء الكتاب أهمية لاحتوائه على تفاصيل وحوادث نادرة، وربما لا نجد لها أثر في المصادر المعاصرة له ومن أمثالها:

حديثه المفصل عن الحملات العسكرية التي شارك فيها في بلغراد ورودس وأنكروس، وحديثه عن المظالم التي ارتكبتها رجال البريد أثناء نقلهم للرسائل، من استغلال مناصبهم والأحكام السلطانية التي ينقلونها.

وقد تعامل مترجم الكتاب مع النص بمهنية وحيادية، حيث قام بنقل الكتاب مع مقدمته وحواشيه للعربية نقلاً أصيلاً، معتمداً على الطبعة التي قام بها (عالي أفندي) في استانبول عام 1341هـ، وقدم لها "كليسلي معلم رفعت" فأعاد تقسيم النص إلى فقرات وفقاً للموضوع، ووضع عناوين لها وعرف بالمصطلحات وبعض أسماء الأماكن والأعلام فيها، فكان عملاً متكاملًا بحق.

ومجمل القول فإنّ ترجمة كتاب تواريخ آل عثمان، يعدّ إضافة معرفية إلى المكتبة العربية التي تعاني نقصاً ملحوظاً في حركة الترجمة عن اللغات الشرقية عموماً والتركية خصوصاً، ومن شأن هذه الترجمات الإسهام في تعزيز التواصل الحضاري بين الشعوب الشرقية، وكشف التحيزات الكامنة في المصادر الغربية عن التاريخ العثماني².

المطلب الثالث: أهمية كتاب تواريخ آل عثمان:

¹ - لطفی باشا، المصدر السابق، ص: 112. ينظر: لوزري عبد العزيز، دراسة كتاب تواريخ آل عثمان للطفی باشا، مذكرة ماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية، جامعة يحي فارس بالمدينة، قسم التاريخ، 2021، 2022، ص: 05، 10.

² - لطفی باشا، المصدر السابق، ص: 214. ينظر: لطفی باشا، خلاص الأمة في معرفة الأئمة للصدر الأعظم لطفی باشا، دراسة وتحقيق: ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص: 13، 21.

كون مؤلفه أحد رجالات الدولة وصانعي سياستها، فقد شغل منصب الصدارة العظمى، وشارك في بعض الحملات العسكرية التي شنتها الدولة خارج حدودها، وربطته بأسرة آل عثمان روابط المصاهرة.

- كان الكتاب مفقودا حتى عثر على نسخة منه بمكتبة فيينا، ثم نشر محققا عام 1922م الأمر الذي جعل منه مصدرا كبيرا إلى حد ما، يمكن أن يشكل إضافة حقيقية لعملية إعادة كتابة التاريخ العثماني.

- اشتماله على بعض الوقائع التي لم تتضمنها المؤلفات التاريخية الأخرى، وكذا تطرقه إلى بعض الحوادث المهمة التي تشارك فيها مؤلفه، وكان طرفا فيها كمسألة الصراع العثماني الصفوي، والحملات العسكرية العثمانية كجالديران ومرج دابق.

- تضمنه بعض الملاحظات التي دونها لطفي باشا على أوجه الخل، التي بدأت في التطرق إلى الدولة وتنبية على ضرورة تداركها، ولعلّه أول من فطن إلى ذلك¹.

الخاتمة:

ما تزال المصادر العثمانية شبه مجهولة بالنسبة إلى المؤرخ العربي، وعندما يقال المصادر العثمانية فإنّ ما يتبادل إلى الذهن أكثر من أي شيء آخر هو الأرشيف العثماني، وبالرغم من أنه لا يمكن إنكار أهمية ما يزخر به الأرشيف العثماني من وثائق ومعلومات نادرة ومهمة جدا بالنسبة إلى تاريخ البلاد العربية، فإنه توجد مصادر أخرى كثيرة غنية بمواد نادرة تحتاج من المؤرخ اكتشافها والتتقيب فيها، وقد شكلت بعض العوامل التاريخية والسياسية والإيديولوجية واللغوية عائقا حقيقيا أمام الباحث والمؤرخ في سبيل الاستفادة من هذه المصادر.

وليس ثمة شك في أنّ استثمار هذه المصادر على النحو المطلوب، وإدخالها في عملية إعادة قراءة تاريخ المناطق العربية في العهد العثماني، سوف يفرز نتائج مهمة جدا وسوف يقود إلى مصالحة تاريخية عميقة بين العنصرين العربي والتركي، ويسلّط الأضواء على قضايا ظلّ الغموض يلفّها لوقت طويل.

¹-لطفي باشا، المصدر السابق، ص: 07.

كما يتعيّن اليوم إزالة الحواجز التي تقف عائقاً أمام استثمار هذه المصادر والاستفادة منها، ولئن كان بالإمكان فهم هذه العوائق لا تبرير استمرارها. فبينما نهضت الدراسات العثمانية وتطورت تطوراً سريعاً في أكثر الجامعات، فإن الوضع ليس كذلك في البلاد العربية رغم بعض التحسّن في السنوات الأخيرة، ومن المهم أن ندرك أن البحث العلمي في شتّى فروعه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأوضاع الاقتصادية، والسياسية ووضع الحريات، وما يتخبط فيه العالم العربي من أزمات مركبة تأثيراً عميقاً على جميع مجالات المعرفة، بما في ذلك مجال البحث في العثمانيات، وجعل تقدمه بطيء جداً، ولم توفر له الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة للنهوض به.

المحاضرة رقم: 11: المصادر الأجنبية للتاريخ العثماني: قراءة نقدية:

المبحث الأول: المصادر التاريخية:

تعتمد الدراسة التاريخية على العديد من المصادر التي تساعد المؤرخ في دراسته، ويعتمد عليها كسلم يرتقي من خلاله باحثاً عن الحقيقة، مستخدماً ميكانيزمات وآليات يجندها بمنهجية علمية دقيقة، تمكنه من خلالها انتقاء الغث من السمين والجيد من الضعيف، وبناء عليه يمكن تقسيم المصادر التاريخية إلى نوعين وهي:

1- المصادر المادية:

لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عن المصادر التاريخية من أجل كتابة التاريخ مهما تنوعت تحقيقاته واختلفت مواضيعه، فإذا كان التاريخ الحديث أو المعاصر يعتمد على الشهادات والوثائق، فإن التاريخ القديم وحتى الوسيط، يعتمد في بعض مواضيع دراسته على ما يسمى بالنقوش والحفريات والدراسات الأثرية، ذلك بأن النقوش المسجلة على جدران الكهوف في الطاسيلي مثلاً، أو الأهرامات المصرية وكل المخلفات من أواني فخارية أو قبور وأثاث جنائزي تعبر عن حقبة تاريخية معينة، وترمز إلى منظومة اجتماعية وعقائدية سادت عند شعب من شعوب المنطقة محل للدراسة، وبذلك تكون هذه المادة أرضية خصبة وموضوع دسم ومصدر أساسي للباحث ينطلق من خلاله ليستقي منه موضوع بحثه.

ويهتم علم دراسة النقوش بدراسة تلك الرسومات والكتابات والنقوش على الأحجار والجدران والأشجار وتفسيرها بعلم آخر يسمى علم الكتابات على الأحجار (الباليوغرافيا)، وهي وثائق ما قبل التاريخ أي قبل أن يعرف الإنسان الكتابة، وبعد أن عرف الكتابة حوالي

3200ق. م انتقل إلى عصر التدوين وعصر الوثائق المكتوبة¹، فظهرت البردية المصنوعة من ورق البردي في مصر، فدون عليها المصريون القدامى مختلف شؤون حياتهم بمختلف جوانبها، وعلى الرغم من قيمتها العلمية إلا أنها لا تعطينا الحقيقة المطلقة، ذلك بأن الأخطاء الواردة فيها، وأسلوب كتابتها التي تظهر عليه الميولات والأهواء الشخصية، تزيد الباحث إصراراً على التقصي والتحري عن الحقيقة، وتدفع فيه روح الشك التاريخي والنقد العلمي.

كما تصنف المسكوكات والنقود أو ما يصطلح عليها بعلم النумيات كمصادر مادية أساسية في علمية البحث التاريخي، ذلك بأن الأهمية الاقتصادية لمثل هذه المصادر في حركة التجارة، أو التبادل الاقتصادي لتلك الأمم والشعوب محل الدراسة كبيرة، فالمعلومات الواردة على مثل هذه القطع النقدية خاصة، تلخص لنا المجتمع عن جوانب عديدة كالمذهب، الديانة، اسم الدولة، مستواها الاقتصادي، وحتى الحالة السياسية².

2- المصادر الغير مادية:

بالإضافة إلى المصادر المادية فإن الدراسة التاريخية كما تحتاج إلى المصادر المادية، تحتاج أيضاً إلى المصادر الغير مادية، ذلك بأن تطور حركة المجتمع والتغيرات التي عرفها الإنسان بشكل يومي ولا يزال إلى اليوم يعرفها غيرت مساره التاريخي، وبالتالي تحددت من خلالها مصادر الدراسة. فإذا كان الإنسان في عصور غابرة من تاريخه يستخدم الكهوف للعيش يحتمي بداخلها، وينقش على جدرانها ما يختلج في نفسه من أفكار ومعتقدات، وقد أصبح يترجمها بعد ذلك على شكل تدوين بعد ظهور الكتابة، إلا أننا لا نستطيع الجزم أن الإنسان في ذلك الوقت أو حتى اليوم كان يدون كل أحداثه بتفاصيلها، فلسبب أو لآخر قد تسقط بعض الأحداث من ذلك التدوين، وقد يسقط التدوين كله في ظروف معينة كالحروب أو المجاعات أو مختلف الأزمات الأخرى، وبذلك نلجأ في مثل هذه الحالات إلى ما تبقى عالقا لنستقرأه آخذين معنا ميكانيزمات العمل التاريخي ومنهجيته العلمية.

لقد اعتمد القدامى في تدوين تاريخهم على الأسلوب القصصي والروايات الشفوية، فقد اعتمد الإغريق على أشعار "هوميروس" كأول كتابة تاريخية إغريقية، وتضمنت تمجيد

¹-حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دار الرشاد، القاهرة، 2001، ط2، ص: 54.

²-عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المدخل إلى علم التاريخ، دار الميرخ للنشر والرياض، 2002، ط2، ص: 73.

الأبطال والمعارك التي قاموا بها، وكان ذلك في القرن التاسع ق.م، ثم جاء بعد ذلك "هيرودوت" الذي اعتبر إرادة الإنسان هي التي تصنع التاريخ¹.

يلجأ الباحث إلى الاستعانة بالتاريخ الشفوي لملاً الفراغ الموجود في المصادر المادية، أو لتأكيد بعض ما ورد في هذه المصادر، ومن ثمة مقارنتها عن طريق ما يسمى بالتقاطع في المعلومة ليتأكد من صحتها، أو لأن المصادر المادية لم تتطرق إليها أصلاً، أو تطرقت بنوع الغموض أو الحساسية التي من شأنها أن تؤثر سلباً على الكتابة التاريخية، فيلجأ إلى المقابلات والمناقشات بينه وبين المصدر المباشر، أو أشخاص لهم اتصال وثيق بالحادثة التاريخية أو عايشوا الحادثة من قريب أو من بعيد²، وعن طريق المناقشة المباشرة مع المصدر والأسئلة الكتابية والشفوية التي يعدها الباحث، تكون إجابات المصدر مسجلة على جهاز بالصوت والصورة ليكون التثبيت مؤكداً، إلا أنه لا يمكن حمل أي معلومة وردت في مصدر ما سواء أكان مادي أو غيره على أنها الحقيقة الكاملة، حيث يلجأ الباحث بعد مرحلة الجمع هذه إلى مرحلة الغرلة، لينتقي الغث من السمين عن طريق منهجية تاريخية علمية محددة، تمكن الباحث من الاقتراب شيئاً فشيئاً من الحقيقة التاريخية.

المبحث الثاني: أهمية المصادر التاريخية بالنسبة للمؤرخ:

لا يمكن للمؤرخ أن يستغني عن المادة العلمية في كتابة التاريخ وإلا أصبح التاريخ مغبوراً مثله مثل الأساطير والروايات الخيالية، لذلك فإن أهمية المصادر التاريخية بالنسبة لكتابة التاريخ والمؤرخ مهمة جداً. كما تفاوتت درجة أهميتها من مصدر لآخر حسب نوع المصادر و طبيعة الموضوع المطروح للبحث، ومن هذه المصادر نذكر:

1- الوثائق التاريخية:

وتمثل في مجملها مختلف القوانين والتشريعات التي صدرت من هيئات كانت سياسية أو مرتبطة بالسياسة، ومثال ذلك بريطانيا التي تعتبر وثائقها في غاية الأهمية، ولا تسمح بدراستها إلا بعد مرور ثلاثين سنة.

¹ -قاسم عبده قاسم، فكرة التاريخ عند المسلمين، عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001، ط2، ص: 16.

² -شوقي الجمل، علم التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص: 143.

ونفس الشيء بالنسبة لفرنسا لا سيما أنها دولتان متزامنتان في القوة إبان القرن السابع عشر والثامن عشر، ولا تزالان حتى اليوم، إضافة إلى تركيا مركز الدولة العثمانية، وكذا جامع الدول العربية، وتتضمن وثائق هذه الأخيرة جملة القضايا التي تعرض على الجامعة والخاصة بالدول العربية الأعضاء¹.

وتعتبر الوثيقة من أرقى أنواع المصادر الضرورية لكتابة التاريخ، كما توجد وثائق من الطراز الأول، وهي تلك الوثائق التي لم يرد بها صاحبها أن تكون من شواهد التاريخ، كالتقارير السرية وعقود البيع، وهناك وثائق من الطراز الثاني، وهي عبارة عن مراسلات ومعاهدات رسمية في قالب، وتزداد القيمة التاريخية للوثيقة في سريتها وعرضها لأول مرة من طرف الباحث، هذا وقد خصّصت معظم دول العالم مراكز لحفظ هذه الوثائق ودور الأرشيف التي تعني بهذه الوثائق، وإتاحتها للباحث وفق الشروط القانونية المحددة، ومن هذه المراكز:

الأرشيف القومي الفرنسي، دار المحفوظات المصرية، دار الوثائق البريطانية، الأرشيف الأمريكي، دار الكتب والوثائق العراقية، وغيرها الكثير.

2- المذكرات الشخصية:

تعرف المذكرات الشخصية على أنها تلك الكتابات التي كتبها أشخاص لهم صلة بحكم البلاد أو حكموها سابقا، أو كانوا فاعلين في حادثة تاريخية معينة أو شهود عليها من قريب أو بعيد، وتعتبر المذكرات الشخصية تكملة لما سكنت عنه الوثائق التاريخية أو تغاضت عن ذكره، فلا يجب على المؤرخ رغم قيمة هذا المصدر أن يأخذه على أنه الحقيقة المطلقة، بل يجب عليه مراعاة صدقها من كذبها، خاصة لما تكون هناك نزعة ذاتية أو ضغوط أو انحياز إلى فئة معينة أو تبرير لموقف يتلائم مع صاحب المذكرات الشخصية، خاصة بعض الأحداث التاريخية التي تهجم عليها التاريخ بسلب، وبالتالي توفر ملكة النقد لدى دارس التاريخ أمر ضروري. ويمكن الإشارة هنا إلى بعض المذكرات العلمية الأكاديمية، وهي تلك المذكرات الصادرة عن مؤرخين معاصرين للأحداث التاريخية وشغلوا مناصب رسمية، فجاءت كتاباتهم تكتسي صفة المذكرات².

¹- عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المرجع السابق، ص: 18.

²- عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المرجع السابق، ص: 18.

3- المخطوطات:

وهي تلك الوثائق التي تم العثور عليها من طرف الباحثين، والتي تعبر عن أفكار وآراء كاتب أو مؤرخ عاش حدثاً ما، و أراد تدوينه وهي قليلة حالياً الطباعة بصورة واسعة، ولا بد من الفحوى من صحتها.

وتعتبر المخطوطات من أهم مصادر التاريخ، وهذه المخطوطات يشرح تحتها علم يسمى "علم دراسة المخطوط"، ويعتبر من العلوم المصدريّة الأساسيّة لدراسة نواحي عبّرة من التاريخ، وبفضل هذه الدراسة يتجنب الباحث الوقوع في الخطأ ومجانبة الصواب¹.

4- كتابات وأشعار المعاصرين وشهود العيان:

يعد الشعر من أهم المصادر التاريخية التي تصف مجريات الأحداث والحالة التي كانت عليها المنطقة في فترة زمنية معينة، فمثلاً أحمد شوقي أنشأ شعراً حول احتلال ليبيا وسوريا وعنف ثم صلب عمر المختار على يد الإيطاليين، ونظم عدة قصائد تمجد أقطار المغرب العربي، لا سيما مصر بعد احتلالها من بريطانيا سنة 1882م²، فلا شك أن معاصرة الشاعر لشؤون زمانه تجعله يعالج قضايا عصره ويدافع عنها بأسلوبه الخاص، فهو أقدر من غيره على تصوير الحقائق بألوانها الطبيعية³.

5- كتابات المؤرخين المحدثين:

يعتبر من أهم المصادر لكتابة التاريخ، والأجدر بالباحث أو المؤرخ الذي يكتب عن وطنه أن يتحلى بالصدق والموضوعية في عرض الأحداث، على عكس كتابات المستشرقين مثلاً المعلومة الأهداف والنوايا، وبالتالي فكتابات المحدثين تتميز بفاصل على كتابات المؤرخين السابقين، لعل أهمها بالنسبة للباحث اعتماد منهج البحث التاريخي والتقيد بالموضوع زمنياً ومكانياً⁴، فالمؤرخ الذي يكتب عن وطنه هو أدري بشؤون بلده عن غيره.

6- اللقاءات والمقابلات الشفوية:

¹ - قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، المرجع السابق، ص: 18.

² - عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة، بيروت، ص: 124.

³ - شوقي الجمل، ص: 143.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 124.

هي تلك المقابلات والمناقشات التي تجري بين الباحث والمصدر، من خلالها يقوم الباحث بطرح أسئلة سواء كانت شفوية أو مكتوبة على السياسي، أو الذي عايش الحدث ليجيب عنها، وعلى الباحث أن يسجل هذه الإجابات صوتياً أو كتابياً وعن طريق الأجهزة تسجيلاً صوتياً وصورة¹.

7- كتب المراجع:

ولا تقل هذه عن الأخرى من حيث الأهمية في كتابة التاريخ الحديث، لذا تعمل مختلف المكتبات اليوم على القيام بالعديد من المطابع لتصوير كتابات الطباعة فكل مجاله، ولكل دولة لها مراجعها الخاصة، وتكون منهجية الاستفادة من تلك المراجع عن طريق انتقاء وجمع المادة العلمية التي تحتويها، وهي مرحلة كما سبق وذكرنا من أولى مراحل البحث العلمي، كما يستفيد الباحث من هذه المراجع من خلال تلك المصادر التي وظفها، أو عن طريق المنهجية العلمية التي استخدمها في عرض الأفكار وتحليلها، لا سيما بأن هذه المراجع كتبت بأقلام علمية متخصصة².

8- دوائر المعارف والمعاجم:

وهي الدوائر التي تعني بدراسة التاريخ من مختلف جوانبه وشخصياته ومعاركه وأزمته ومختلف البطولات، ومنها دائرة المعارف الإسلامية بالقاهرة، ودائرة المعارف البريطانية وهي مكتوبة باللغة الإنجليزية والعبرية، نهيك عن المعاجم ذات القيمة العلمية الكبيرة، والدور الفعال في بيان مدى وتطور اللغة التي لا بد منها للباحث، ولإستفادته منها يجب الاهتمام باللغة التي كتب منها، كمثال لا يمكنك الكتابة عن الإمبراطورية الرومانية دون الإلمام باللغة اللاتينية، ومن كان يبحث في تاريخ مصر، فلا بد من تمكنه من اللغة الهيروغليفية.

9- الدوريات:

وهي الجرائد والمجلات التي تكمن قيمتها العلمية فيها توفره من مادة علمية، على شكل مقالات لمختصين وباحثين ومؤرخين، ويمكن تمييز أنواع من الجرائد هي كالآتي:

1- الجرائد المستقلة.

2- الجرائد المؤيدة للدولة.

¹-المرجع نفسه، ص: 143.

²-قاسم يزبك، التاريخ والمؤرخون العرب، المرجع السابق، ص: 98.

3- الجرائد المعارضة لها.

4- الجرائد الممولة من طرف الأجانب.

حيث تصدر كلها انطلاقاً مما تجلّى عليها من طرف الجهة التابعة لها، ولذلك على الباحث الحذر أثناء عملية البحث العلمي وجمعه للمادة، كمثال على ذلك نجد "جريدة أم القرى"، وهي جريدة رسمية ناطقة باسم الدولة السعودية بدأت بالصدور عام 1924م، في المقابل نجد المجالات العلمية المحكمة التي تصدر من مخابر بحث أكاديمية تابعة لجامعات مثل جامعة الجزائر، وهذا لا يعني أنها ليست تحت المراقبة، بل يطبقها لجان علمية تقوم بقراءتها وتحريرها لإعطاء الإذن بنشرها.

المبحث الثالث: خليل إينالجيك شيخ المؤرخين الأتراك: 1919-2016م

شيخ المؤرخين الأتراك بلا منازع، صاحب الموسوعات المخصصة بالتاريخ والحضارة الإسلامية في الدولة العثمانية، باحث نقاب في خزائن المخطوطات العثمانية¹.

ولد البروفيسور خليل إينالجيك في مدينة إسطنبول في 26/05/1916م ينحدر من عائلة من تاتار القرم، تلقى تعليمه الأساسي في مدرسة "أنقرة غازي"، وتعليمه الثانوي في مدرسة "نجاتي بي" بمدينة باليكسير، التي كانت حينها واحدة من أفضل المدارس عالمياً، وفي 1940م أنهى تعليمه الجامعي في كلية التاريخ واللغات بجامعة أنقرة، حصل على درجة الدكتوراه من خلال رسالته الشهيرة "التنظيمات فترة إصلاح"، و"القضية البلغارية"، التي تعد من أبرز الأعمال في مجال التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في تركيا.

توالى بعد ذلك درجاته العلمية التي نالها خلال مسيرته العلمية، ففي عام 1942م، حصل على درجة مدرس مساعد، ودرجة أستاذ مساعد في 1943م من خلال رسالته "الإمبراطورية العثمانية وخانية القرم من فيينا إلى التراجع الكبير".

ويصنّف إينالجيك بين ألفين عالم بارز في مجال العلوم الاجتماعية على صعيد العالم، كتب بالعديد من اللغات الأجنبية، وترجم له هواة خير العديد من الكتب والمؤلفات، تشبع بأفكاره واقتنى طريقة تقسيماته للحقب العثمانية، مؤرخون نجباء كانوا من أفضل تلاميذ مدرسته أمثال المؤرخ التركي "إيلبير أورتايلى" صاحب كتاب "إعادة استكشاف العثمانيين".

¹ - مصطفى السيتي، "أية علاقة للمؤرخ العربي بالمصادر العثمانية؟"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد: 07، العدد:

وتحظى مؤلفات إينالجيك حول التاريخ التركي، ولا سيما المتعلقة بالعهد التركي العثماني، اهتمام كبير من قبل الباحثين المستشرقين، ومختلف أرجاء العالم، ويعد كتابه الإمبراطورية العثمانية: العصر الكلاسيكي 1300-1600م، الذي طبع في بريطانيا عام 1973م، من الكتب التي لقيت اهتماما واسعا وغير مسبوق على مستوى العالم، كما نال إينالجيك العديد من الجوائز خلال مسيرته العلمية من أبرزها الدكتوراه الفخرية من جامعة بوغاز عام 1986 وميدالية التميز سنة 1991، والعديد من الجوائز الأخرى¹.

كان واسع الاطلاع على كتب التراث العثماني، وصاحب رؤية نقدية جديدة بالتاريخ العثماني، توفي شيخ المؤرخين الأتراك مساء يوم 20 شوال 1437هـ، الموافق ل 2017/07/25م، عن عمر ناهز 100 عام بعد مسيرة حافلة بالعطاء، أكسبته شهرة عالمية في الأوساط الأكاديمية في مجال العلوم الاجتماعية على مستوى العالم².

المحاضرة رقم: 12: نصوص نموذجية للمصادر الأجنبية:

المبحث الأول: كتاب الفتح الإسلامي للقسطنطينية: يوميات الحصار العثماني 1453م لنيقولو باربارو:

تحتفل كتب التاريخ بالانتصارات والفتوحات الإسلامية التي جابت الشرق والغرب والقارات الثلاثة، وبرغم ذلك تبقى بعض المحطات والأحداث هي الأهم والأكثر فرقا في التاريخ، ومن هذه العلامات البارزة التي لن ينساها كل من العالم الإسلامي والمسيحي الشرقي والغربي، فتح مدينة "القسطنطينية" فهي ليست مدينة عادية؟، وإنما هي معقل حضارة وثقافة تغلب عليها العثمانيون عام 1453م، هذا الحدث التاريخي المنفرد يبقى له مذاق خاص، حين يقصه شاهد عيان أراد له القدر أن يعيش هذا الحدث، ويسجله في طي الأوراق ليصل إلينا هذا الكتاب، إنه "نيقولو باربارو" الطبيب النبيل الذي كتب يومياته في ذلك العام الحاسم، فعدت من الوثائق والأصول التاريخية حتى ولو انحازت إلى أهله مواطني البندقية.

المطلب الأول: الذكر الشخصية لنيقولو باربارو:

¹ - فوزية محنوف، "أهمية وثائق الأرشيف العثماني في الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني"، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد: 02، العدد: 02، ديسمبر 2016، ص: 69.

² - محمد علي شاهين، "إينالجيك شيخ المؤرخين الأتراك دون منازع"، مجلة التفاهم، العدد: 33، 2001، ص: 01.

إن يوميات المسافرين ومدوناتهم الشخصية تشكل في الثقافات الأخرى مكتبة قائمة في ذاتها، وتعتبر كتب اليوميات من أمتع المؤلفات وأكثرها رواجاً على اختلاف قيمتها الأدبية، وتتوع الموضوعات التي طرقها كتابها، فأدب اليوميات على هذا الصعيد يشكل ثروة معرفية كبيرة ومخزناً للمشاهد والقصص والوقائع والملاحظات، فضلاً عن كونه مادة سردية شيقة تحتوي على الطريف والغريب والمدهش، مما التقطته عيون ترصد وأنفس تتفعل بما ترى ووعي يلم بالأشياء، ويحللها ويراقب الظاهر ويتفكر فيها، هكذا جاء حصار العثمانيين للقسطنطينية حتى فتحوها عام 1453م، كما رواها الطبيب الجراح البندقي نيقولو باربارو أحد أفراد الأسرة النبيلة في مدينة البندقية، وأحد شهود العيان الذي يجعلك تشعر كأنك معه، فهو يمتلك طريقة ساحرة ومدهشة وعفوية وبسيطة في رصد تفاصيل مشهد الحصار العثماني للقسطنطينية، على شكل يوميات تبدأ مع وصول الطبيب إلى القسطنطينية للمشاركة في الدفاع عنها، وتمر أيام الحصار القاسية وتنتهي عند اللحظات التي فر فيها هذا الطبيب، بعدها اقتحام العثمانيون المدينة بعد ثلاثة أشهر من الحصار المطفي¹.

وبطريقة أخاذة ومدهشة تسليك إرادته ولا تتركك إلا بعد أن تنتهي من قراءة يومياته التي اقتربت من 100 صفحة، ساعتها فقط تدرك أنك أمام نص ترجم بحرفية مدهشة، وبعين ترجم أهم مفاتيح عبقرية النصوص التراثية تساعده على الإمساك بتلابيب ونفس القارئ في آخر كلمة في النص، على الرغم من صرامته العلمية، وهي ميزة تجلت بوضوح في يوميات الحصار العثماني للقسطنطينية.

وعلى الرغم من عشرات الكتب التي كتبت حول موضوع الفتح العثماني للقسطنطينية، فإن رواية شاهد العيان لهذا الحدث التاريخي الفذ، تبقى لها جاذبيتها التي تقف بك على طبيعة الوعي بالذات والآخر الذي تشكل من طريق اليوميات، والأفكار التي تسربت عبر سطور الكاتب، والانتباهات التي ميزت نظرتة العدائية إلى العثمانيين وحروبهم والناس والظواهر والأفكار.

نجح نيقولو باربارو إلى حد كبير عن طريق الجدف والإبحار، وعدم الاستطراد في اللغة والتكثيف والتقطير في استخدام اللغة المدينة نحو الهدف، ووصف شخصيات الحصار

¹ - نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية: يوميات الحصار العثماني 1453م، دراسة وترجمة وتعليق: حاتم عبدالرحمن الطحاوي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2002، ص، ص: 56، 80.

وأحداثه، ورصد لنا سكان القسطنطينية ومشاعرهم المتباينة وأحزانهم وقلقهم، وتوجسهم ومعاناة النساء والأطفال، كأنها شريط سينمائي يمر أمام الأعين، ذلك بلغة بسيطة موحية، مؤشرة متفكة، جذبة وموجزة لنرى كيف نقل إلينا الكاتب أحد مشاهد الحصار المرير، ونجح في تصويره بحرفية ومهارة عاليتين وجعله مثالا أمام عين القارئ كأنه صورة سينمائية في الثامن والعشرين من أيار/مايو، وبعد حلول الظلام بساعة، بدأ الأتراك بإيقاد النيران الهائلة في معسكرهم، أكبر من تلك التي قاموا بإيقادها في الليلتين السابقتين وأكثر سعيرا، وغان صراخهم وصياحهم أعلى من أن تستطيع قلوب المسيحيين تحمله، إضافة إلى صراخهم قاموا بإطلاق القذائف بأعداد كبيرة من المدافع والبنادق، وقذفوا بأحجار لا حصر لها، حتى بدا لنا ما يحدث لهم الجحيم بعينه¹.

استمرت هذه الصرخات الهستيرية حتى منتصف الليل، عندما خبت النيران هذا اللون من اليوميات، سرعان ما اختفى تاركا مكانه لأعمال البحث الفكري والكتابات الإيديولوجية الصارمة في حمة الصراع السياسي والاجتماعي المحتدم مع الآخر، ومعه غفا نيقولو باربارو واختفت اليوميات، ولم تعد الكتابة في هذا الميدان تشكل ظاهرة تاريخية تكمن الإشارة إليها.

وعلى الرغم من أهمية هذا الحدث الفذ في تاريخ المسلمين، فإن سائرا من النسيان، وربما التناسي، أسدل على هذا الحدث الذي لا يعرف تفاصيله ومقدماته ونتاجه كثير من المسلمين من العامة والمتقنين، وبسبب تطورات التاريخ الثقافي السلبية في أنحاء العالم الإسلامي، ظل هذا الحدث أسيرا للانحيازات الغربية ضد المسلمين وتاريخهم.

ومع أن إسطنبول ظلت قاعدة العالم الإسلامي طول قرون عدة، فإن ما أطلقه المؤرخون الغربيون من "إشاعات تاريخية" عن العثمانيين، لقي أذان فارغة في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، عندما أرادت الدول الغربية، أثناء صراعها الطويل مع العثمانيين الذين تقدموا في أوروبا تقدا أفرعها، ولم تره من دولة إسلامية من قبل، فعمدت عبر معاهدة الاستئثار والجامعات الأوروبية إلى دراسة هذا العدو العملاق للإسلام، ظل في هذا الحدث بغية فهم الدولة العثمانية لتقويض دعائمها، حتى يرتاح الغرب ويسود الشرق².

¹ - نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية: المصدر نفسه، ص، ص: 34، 60.

² - نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية: المصدر نفسه، ص، ص: 56، 80.

المطلب الثاني: أهمية هذه المذكرة كمصدر تاريخي:

في الوقت التي تفننت فيه الشعوب الأوروبية إلى الاستماع إلى قصة سقوط القسطنطينية بأذان صاغية، ووصلت إلينا مصادر عدة حول ذلك الحدث لا يوجد مصدر تاريخي أكثر تفصيلاً وحنكة تاريخية من هذا المصدر، الذي كان مؤلفه يعمل على إحدى سفن أسطول البندقية، إذ كانت السفينة تشارك في أعمال الدفاع عن المدينة، فقام بتدوين أحداث الفتح أولاً بأول واحتفظ بيوميته، حتى عاد إلى مدينة الأم البندقية في يوليو 1453م ليعيد كتابتها من جديد.

المطلب الثالث: النقد الخاص بالكتاب:

يمكننا أن نلاحظ من خلال تحليلنا ليوميته، أنه لم يكن مؤرخاً محترفاً كالمؤرخين البيزنطيين المعاصرين، بقدر امتلاكه موهبة السرد ووصف الأحداث بدقة مفصلة، ونلاحظ أنه قام المؤلف بإعداد هذا العمل لنفسه، في كون أننا لم تتوفر لنا أية معلومات تفيد بأنه كان ينوي تقديمه في صورة تقرير للبحرية البندقية، كما كان يقولو باربارو يدرك جيداً حجم الخطر العثماني، وكان يسرد أيضاً مغزى سقوط القسطنطينية في يد السلطان محمد الفاتح، ولهذا فقط امتلأ كتابه بالكثير من عبارات السخط، والكلمات الحاقدة على الأتراك.

كما يبدو من خلال يوميات باربارو بعض الأفكار الخاطئة عن الإسلام، مثل ما ذكره عن توجه المسلمين بالصلاة تجاه محمد عليه الصلاة والسلام، مما يشير إلى ضعف ثقافته خارج نطاق الدين المسيحي، على أن الأمر المثير للانتباه حقيقة، هو أنه على رغم كون مهنة باربارو هي الطب والجراحة، إلا أنه لم يتطرق في يومياته إلى أية أحداث تقترب من تخصصه أو إشارات تفيد بأنه مارس مهنته¹.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي قدمه إلى المكتبة العربية، والذي تم ترجمته من قبل المؤرخ حاتم الطحاوي المتخصص في تاريخ العثمانيين، والذي امتازت بإخراج صورة حية لحدث نادر في المثال التاريخي.

المبحث الثاني: أدريان بيربروجر Adryan Berbrugger :

¹ - يقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسطنطينية: المصدر نفسه، ص، ص: 18، 26.

ولد أدريان بيربروجر في باريس 11 ماي 1801م فقد اهتم منذ البداية بدراسة علم الآثار القديمة، وقد تميز بالذكاء والخبرة، وبعدما أكمل دراسته في مدرسة شارمان الثانوية، التحق بمدرسة شاريت العليا، وفي سنة 1832 كلف بمهمة البحث عن القطع الأثرية التي يرجع عهدها إلى زمن احتلال فرنسا في القرن 15م، وبعد ذلك بسنتين سافر إلى الجزائر حيث شغل وظيفة كاتب للوالي العام كلوزيل قبل أن يوافق فالي في غزوته لقسنطينة، ومن مدينة قسنطينة عاد الكاتب حاملا معه عددا كبيرا من المخطوطات العربية.

لقد دفعت به ثقافته الواسعة وحبه للاستطلاع في طريق البحث بعيدا عن الدراسات العربية، كما كان من بين الأوائل الذين عملوا للمحافظة على الآثار الرومانية في الجزائر، والشيء الذي جعله يهتم بهذه الآثار معرفته المتواضعة باللغة العربية، كما يعد من أبرز الباحثين الفرنسيين في علم التاريخ والآثار والحفريات الأثرية، فاهتم بالتراث الجزائري منذ أن وطأت أقدامه التراب الجزائري سنة 1834، فقام بجمع العديد من المخطوطات التي شكلت جوهر مكتبة الجزائر.

وفي سنة 1835 كلف بيربروجر بإنشاء المكتبة العامة الجزائرية، عين مديرا عاما على جريدة الممر الجزائري، وقام بتسطير الرسالة الثقافية والعلمية التي يجب أن تتولى مسؤولياتها هذه الجريدة، ولم يكن اختياره لهذه المهمة أمرا عشوائيا بل كان ذلك نظيرا للخدمات التي قدمها لجيش الاحتلال¹، من أهم الخدمات التي قدمها جمع المخطوطات من تلمسان وقسنطينة، وغيرها فقد كان مديرا لجريدة "المونيتور" ومؤسسا للجمعية، فكانت حياته موزعة بين الجزائر وفرنسا².

الخاتمة:

تتوعد مصادر تاريخ الدولة العثمانية، منها مصادر عربية ومصادر تركية مترجمة، ومنها المصادر الأجنبية التي كانت عنوان محاضرتنا، ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع، توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

¹ - عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2014-2015، ص: 53.

² - عبد الجليل رحموني، المرجع نفسه، ص: 54.

- من خلال توطئة المحاضرة، يتمكن الباحث من التمييز بين كل من المصادر المادية والغير مادية، ومدى أهميتها في إثراء البحث التاريخي.
- في حين استنبطنا من خلال المحاضرة ما مدى تدوين الأحداث، وميزة المذكرات الشخصية في كونها مصدر في الفترة التي عايشتها الشخصية نفسها.
- كما عالجتنا تاريخ الدولة العثمانية بقلم نيقولا باربارو، حيث يستطيع الطالب الباحث، أن يكون نظرة عامة عن تاريخ الدولة العثمانية، من منظور مؤرخ أجنبي وفتح باب المقارنة والتحليل.
- في حين ومن خلال عنصر الحديث، الذي كان بقلم بيربروجر، أن يتمكن الطالب الباحث من التماس تضارب وجهات النظر لدى المؤرخين خاصة فيما يخص العثمانيون.
- وفي الأخير استنتجنا بمدى تميز تاريخ الولايات في الفترة العثمانية، بتنوع المصادر الغربية وغازرتها، وهي ذات جنسيات مختلفة منها فرنسية وإسبانية.... إلخ، وهي عبارة عن رحلات أو تقارير أو مذكرات ألفت من طرف قناصل أو رحالة أو جواسيس، أو رهبان أو أسرى تعرفوا على المنطقة.

- القرآن الكريم برواية حفص.

أولاً- المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ- المصادر المطبوعة:

- أبو حامد العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، دراسة وتحقيق: بن عمر حمدادو والعربي بوعمامة، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2011.

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1939 .

- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد 1، ج3، تحقيق: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، د.ت .

- أبوراس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: حياة أبي راس الذاتية والعلمية، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

- أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج7، تحقيق: مهدي المخزومي، دار الحرية، بغداد، 1984.

- أبي بكر بن محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992.

- أحمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973.

- أحمد بن محمد علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، عناية: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 2010.

- الأغا بن عودة المزارى، طلوع سعد السعود في أخبار الجزائر ووهران وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009 .

- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998 .

- الدردير محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على شرح الكبير، ج2، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق: محمد حرب، ترجمة: تسنيم محمد حرب، ط1، دار البصائر، للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ماي 2017.
- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.
- محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران، تحقيق: الشيخ المهدي البوعبدلي واعتاء عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2022.
- لطفي باشا، تواريخ آل عثمان، ترجمة: محمد عبد العاطي محمد، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2018.
- لطفي باشا، خلاص الأمة في معرفة الأئمة للصدر الأعظم لطفي باشا، دراسة وتحقيق: ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.
- محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تقديم وتحقيق: محمد غالم، مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران.
- محمد المرتضي الزبيدي، تاج العروس، ج4، دار ليبيا، بنغازي، ليبيا، 1966.
- محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.
- نيقولو باربارو، الفتح الإسلامي للقسنطينية: يوميات الحصار العثماني 1453م، دراسة وترجمة وتعليق: حاتم عبدالرحمن الطحاوي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2002.
- نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف العثماني فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزراء باستانبول، ترجمة: صالح سعداوي، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ومركز الوثائق والمحفوظات بالجامعة الأردنية، عمان، 1986.

- عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإشبانيين بوهرا من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.
- عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيكات والمسلسلات، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982، ج1.
- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000.
- صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.
- الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.
- خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، ط1، 2010.

ب- المراجع:

- أحمد صاري، من مصادر الأرشيف المتعلقة بتاريخ الجزائر والمحفوظة بأرشيف ما وراء البحار، مطبوعات من الأرشيف الوطني الجزائري، الجزائر، 2000.
- أحمد السلامة القيسي، لواء دير الزور في الوثائق العثمانية: مركز اللواء دير الزور، ج1، دمشق، أطلس للنشر والتوزيع، 2019.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي: (1830-1954)، ط1، ج5، دار الغرب الإسلامي، 1998.
- جمال شعبان، مدخل إلى علم الأرشيف، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة علوم المكتبات والوثائقية والأرشيف مستوى ليسانس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، 2017-2018.

- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة ، الجزائر ، 2003.
- حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، دار الرشاد، القاهرة، 2001، ط2.
- حاشي عمر، دليل علم الأرشيف تسيير الوثائق والمحفوظات، ط1، الجزائر، 1993.
- طه عبد الرحمن، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، 1995م.
- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995.
- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- كامل حيدر، منهج البحث الأثري والتاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995.
- الموسوي مصطفى مرتضى، الوثائق، بغداد، الجامعة المستنصرية، 1979.
- ملحم عصام توفيق أحمد، مصادر المعلومات الإلكترونية في المكتبات الجامعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2011.
- محمد محجوب، إدارة الوثائق الأرشيفية، بيروت، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط2، 1992.
- مروان الأقرع، الأرشيف العثماني، مركز البرق للأبحاث والدراسات، 14 يونيو 2016.
- محمود عباس حمودة، الوثائق العثمانية في تركيا ومصر ودول شمال إفريقيا، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 1999.
- مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، 956هـ - 1549م / 1246هـ - 1830م، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي، 2000.

- محمود عباس حمودة، الوثائق العثمانية في تركيا ومصر ودول شمال إفريقيا، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 1999.
- مجهول، مناهج البحث في علم الاجتماع، د. ط، ط. س.
- محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، 1985.
- محمد دراج، الجزائر في المصادر العثمانية، شركة الأصالة لنشر والتوزيع ، د، ط، الجزائر، 2018.
- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999.
- عبد الفتاح غدر، أزمة البحث العلمي في العالم العربي، ط3، مكتبة صلاح كجيلان، 1998.
- علي ابراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث، ط1، مطابع الإسلام، القاهرة، 1980.
- عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره، دار هومه، الجزائر، د.ت.
- علي بن حسين الهنائي، المنجد في اللغة، مج1، دار عالم الكتب، القاهرة ، 1988م.
- عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة: بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994م.
- عبد الجليل التميمي، نصوص ووثائق في التاريخ المغربي (الجزائر وتونس وليبيا) (1816-1871م)، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
- عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المدخل إلى علم التاريخ، دار المريخ للنشر الرياض، 2002، ط2.
- عبد القادر خليف، أحمد توفيق المدني: النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية، دار المخابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة، بيروت..

- عثمان نوري طوباش، العثمانيون: "رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة"، دار الأرقم (د-ط)، استنبول، 1438هـ/2016م.
- سهيل صابان، "الأرشفة العثمانية في خدمة التراث العربي"، محاضرة أقيمت في ملتقى الآداب بكلية الآداب جامعة الملك سعود، في يوم السبت 18 ذي القعدة 1427هـ/ 09 ديسمبر 2006م.
- السيد محمد إبراهيم، مقدمة في تاريخ الأرشفة ووحداته، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1993.
- سالم عبود الألوسي ومحمد محبوب مالك، الأرشفة: تاريخه، أصنافه، إدارته، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1979.
- فاطمة الزهراء صاري، فتحة بخاري، الوقف في الجزائر، دراسة لعينة من الوقف في عقود الوقف لرصد المحاكم الشرعية، يخص الفترة العثمانية (1551-1815م)، الأرشفة الوطني الجزائر، الجزائر، 2012.
- فاطمة الزهراء صاري، "وثائق الإيالة الجزائرية في الأرشفة العثمانية بإسطنبول"، الندوة الدولية حول الأرشفة الخاص بالجزائر والمحفوظ بالخارج، مج4، مطبوعات الأرشفة، الجزائر، 2000.
- فاضل عبد الحق، تاريخهم من لغتهم، بغداد، مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام، 1977.
- خميسي سعدي، محاضرات في مصادر تاريخ الوطن العربي، مطبوعة في مقياس مصادر تاريخ الوطن العربي، موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر، تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، بالمركز الجامعي الشهيد سي الحواس، بركة، 2020-2021.
- خالد عبد القادر الجندي، أبحاث في تاريخ الدولة العثمانية: افتراءات وحقائق ، ج2، دار إقتصاد، أنقرة، تركيا.
- ناصر الدين سعدوني، ورقات جزائرية: دراسات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2000.

- خليفة حماش، كشف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2012.
- الخولي جمال، الوثائق الإدارية بين النظرية والتطبيق، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1993.
- قيسي محمد، علم التوثيق والتقنية الحديثة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1991.
- قاسم عبده قاسم، فكرة التاريخ عند المسلمين، عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001، ط2.
- رامي البناء، الدين والسياسة في الدولة العثمانية، قراءات في فكر الصدر الأعظم لطفي باشا، مركز التاريخ العربي للنشر، 2022.
- الصرايرة خالد عبده، الكافي في مفاهيم علوم المكتبات والمعلومات، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
- الشويفات محمد، الموسوعة العربية العالمية ، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة، مج:22، 1999.
- شهاب الدين يلس، الوثائق الوطنية: الفهرس التحليلي للوثائق الوطنية التاريخية الجزائرية للرصيد العثماني 1648-1862م، المديرية المركزية للوثائق الوطنية، 1980.
- شوقي الجمل، علم التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000.

ج- الدوريات:

- أحمد توفيق المدني، "من الوثائق الجزائرية باسطنبول"، المجلة التاريخية، العدد: 09، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980.
- أسماء أبلالي، "التحريشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م: قراءة في الدوافع والنتائج"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد: الثاني، جامعة غرداية، 2017.
- أشرف سعدون طه، "التعريف بالأرشفة العثمانية وأهميته في دراسة التأريخ"، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، عدد خاص ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي الحادي عشر ، نيسان 2019.

- أمحمد طاهري، "القيمة التاريخية لمذكرات خير الدين بربروس ودورها في كتابة تاريخ الجزائر العثماني"، مجلة تاريخ العلوم، المجلد: 05، العدد: 03، أوت 2020.
- بودوشة أحمد، "التشريعات والتكنولوجيا ودورها في دعم وتطوير الأرشفة الوطني"، مجلة المكتبات والمعلومات، مج 02، 2003.
- بحري أحمد، "ملاحم التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد: 08، العدد: 09، ديسمبر 2012.
- دوالي خديجة، "دراسة نقدية وفنية لملفات الوثائق العثمانية: (الملف 1642 أنموذجا)"، جسور المعرفة، المجلد: 08، العدد: 02، جوان 2022.
- خليصة خرفي، "المراحل التاريخية للأرشفة في الجزائر من العهد العثماني إلى ما بعد الاستقلال"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 10، العدد: 02، ديسمبر 2019.
- عبد الحق شرف، "صورة الأسرة المشرفية بمنطقة معسكر في كتابات يحي بوعزيز"، ضمن مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد: 01، جوان 2011.
- فتحة محاجبي ولعمروس أمال، "آليات تنظيم وتسيير التراث المخطوط بالجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية أنموذجا"، مجلة أفكار وآفاق، العدد: 04، 2021.
- فوزية محنوف، "أهمية وثائق الأرشفة العثماني في الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني"، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد: 02، العدد: 02، ديسمبر 2016.
- نواصر عبد الرحمن، "تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر من الناحية الاقتصادية، من خلال مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر لمتولي السوق عبد الله بن محمد الشويهد"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد: 05، العدد: 10، جوان 2017.
- حبيبة عليلش، "الأرشفة الوطني الجزائري: مصدر فريد لدراسة تاريخ الجزائر إبان الفترة العثمانية"، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد: 06، جانفي 2018.
- وافية نفطي وأمانى سعدالي، "مسألة التدوين التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد: 07، العدد: 02، ماي 2023.

- ليلي غويني، "قراءة في الرصيد الأرشيفي بالمكتبة الوطنية الجزائرية الخاص بالجزائر في الفترة العثمانية: الوثائق القضائية نموذجاً"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد: 11، العدد: 01، ديسمبر 2010، جامعة الجزائر.
- عبد الكريم حمو، "الكوديكولوجيا ومشروع رقمنة المخطوطات الجزائرية: دراسة ميدانية لدائرة المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة، الجزائر"، مجلة لغة كلام، مخبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي بغيليزان، العدد: 02، جوان 2019.
- مصطفى السنتي، "أية علاقة للمؤرخ العربي بالمصادر العثمانية؟"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد: 07، العدد: 01، جوان 2023.
- محمد دادة، "التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني: خصائصه وموضوعاته"، مجلة عصور الجديدة، المجلد: 02، العدد: 04، جانفي 2012.
- محمد علي شاهين، "إينالجبك شيخ المؤرخين الأتراك دون منازع"، مجلة التفاهم، العدد: 33، 2001.
- محمد مهدي إيلهان، "ملاحظات وآراء حول الأرشيف عثماني وأهميته في دراسة التاريخ العثماني"، مجلة الدارة، العدد: 04، س: 15، 1410هـ / 1990م.
- محمد مهدي إيلهان، "ملاحظات وآراء حول الأرشيف عثماني وأهميته في دراسة التاريخ العثماني"، مجلة الدارة، العدد: 04، س: 15، 1410هـ / 1990م.
- شرقي فتيحة، "دور الأرشيف في حفظ ومعالجة الأرشيف الإلكتروني"، مجلة المكتبات والمعلومات، مج2، ع03، 2003.
- حنيفة هلايلي، "مساهمة الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ العلاقات الجزائرية العثمانية في ضوء وثائق خط همايون ودفتر مهم 1519-1830"، الحوار المتوسطي، المجلد: التاسع، العدد: 02، نوفمبر 2018.
- سهيل صابان، "الجوف في وثائق الأرشيف العثماني"، الجوبة، العدد: 16، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، السعودية، ربيع 1428هـ / 2007م.
- عثمان زكي صويغت، "دور الأرشيف في تركيا"، بحث منشور في مجلة الوثيقة، عدد خاص.

- عثمان زكي صويغت، "دور الأرشيف في تركيا"، مجلة تراثنا، العدد: 50، محرم - صفر 1435هـ / نوفمبر - ديسمبر 2013م.
- زينب الطحان، "الأرشيف العثماني يعيد قراءة التاريخ العربي في زمن السلطنة"، مجلة أرشيفو، العدد: 12، 25 مايو 2021.
- إحسان الفقيه، "الأرشيف العثماني أهميته وعلاقته بمجال البحث العربي: إضاءات عثمانية"، مقال مستقل.
- فوزية محنوف، "أهمية وثائق الأرشيف العثماني في الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد: الثاني، العدد: 02، ديسمبر 2016.
- سهيل صابان، "الأرشيف العثماني مصدرا من مصادر تاريخ الجزيرة العربية"، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، العدد: 01، المجلد: 03، أكتوبر 1997م.
- قيس أبو سمرة، "الأرشيف العثماني سلاح الفلسطينيين لمواجهة الاستيطان الإسرائيلي"، مقال مستقل، رام الله فلسطين بتاريخ: 30 جانفي 2020.
- قاسم هيطلي، "تاريخ مباح بثلاثة قروش للأوقية"، مجلة تراثنا، العدد: 67، سبتمبر / أكتوبر، 2018م.
- نعاس عماري، "بناء المجموعات المكتبية وتنميتها بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة): واقعها وسبل تطويرها"، مجلة علم المكتبات، المجلد: 06، العدد: 01، ديسمبر 2014.
- عثمان زكي صويغت، "دور الأرشيف في تركيا"، مجلة تراثنا، العدد: 50، محرم - صفر 1435هـ / نوفمبر - ديسمبر 2013م.

د- الأطروحات:

- بلبروات بن عتو: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779-1797م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001-2002.
- دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية 1509-1792م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013-2014.
- بوكوش إيمان، قداش رندة، دور المكتبة الوطنية الجزائرية في تكمين التراث الثقافي: مصلحة المخطوطات نموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماستر في علم المكتبات، قسم علوم

- الإعلام والاتصال وعلم المكتبات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2020.
- هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الإسباني: قراءة في مواقف التحالف والولاء، أطروحة دكتوراه في تاريخ الدولة العثمانية وغرب المتوسط 1492-1912م، جامعة مصطفى اسطembولي، معسكر، 2020-2021.
- يطو صدام، حاج عبد الباقي، تقنيات حفظ الأرشيف في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة، رسالة ماجستير في علم المكتبات، مستغانم، جامعة عبد الحميد بن باديس، 2017.
- عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2014-2015.
- حافظي زهير، الأنظمة الآلية ودورها في تنمية الخدمات الأرشيفية: دراسة تطبيقية بأرشفة بلدية قسنطينة، أطروحة دكتوراه، قسنطينة، جامعة منتوري، 2008.
- زيان حسنية، أثر الأرشيف القضائي: مصلحة أرشفة مجلس قضاء وهران نموذجا، رسالة ماجستير في علم مكتبات، جامعة وهران، 2013.
- عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ت 1895م: حياته وآثاره، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006-2007.
- زبيدة بوبكر، خصائص جمهور المكتبة الوطنية الجزائرية وانعكاساتها على استخدام الأرصدة الوثائقية: دراسة إحصائية، مذكرة ماستر في علم المكتبات، تخصص: إدارة مؤسسات وثائقية ومكتبات، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021، 2022.
- حفصة بوخاري ونصيرة بوخاري، دراسة ميدانية لواقع مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة الدكتور يحيى فارس المدية، كلية الآداب واللغات، تخصص: حماية ممتلكات ثقافية، 2014، 2015..

- حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وكتابات التاريخ 1155-1238 هـ/1737-1823م، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2002-2003.
- لوزري عبد العزيز، دراسة كتاب تواريخ آل عثمان للطفي باشا، مذكرة ماستر تخصص تاريخ الدولة العثمانية، جامعة يحي فارس بالمدينة، قسم التاريخ، 2021، 2022.
- خالد جعيجع، أهمية الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ الجزائر الحديث، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015-2016.
- مواعي فتحة وهديّة ميمونة، تسيير الأرشيف في المؤسسات والإدارات العمومية: دراسة ميدانية بأرشيف ولاية تيارت، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر علم المكتبات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2018-2019.
- بن جميل رميساء والمعادي عفاف، الأساليب الحديثة لتسيير الأرشيف الولائي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في علم المكتبات، جامعة 8 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قالمة، 2019-2020.
- مبارك شودار، الحملات الأوربية على الإيالة الجزائرية وانعكاسها فيما بين 1671-1830م في الأرشيف الوطني الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2020.

ثانيا - المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

أ- المصادر والمراجع:

- Don-Joseph de Aramburu , Oran et l'ouest Algérien au 18 siècle, présentation et traduction de : Korso et Epalza, Alger, Bibliothèque Nationale, 1978.

ب- المجلات:

- Marcel Bodin : "L'agrément du lecteur : Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader El- Mecherfi", Revue Africaine, N° : 65, 1924.
- Cazenave Jean , "Contribution à l'Histoire du vieil Oran", Revue Africaine, N° : 66, 1925.